حقيقة

دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

١١١٥هـ : ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣م : ١٧٩١م

تأليف

عبد الله بن سعد الرويشد

الناشر
رابطة الأدب الحديث
بالقاهرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء ورئيس المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فلقد أهداني الشيخ عبد الله بن سعد بن عبد العزيز الرويشد عام ١٣٩٤ هجرية مؤلفاته الثلاثة وهي:

١ ــ الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ جزءان.

٢ ــ قادة الفكر الإسلامي.

٣ ــ أيام فى تونس

ولقد سررت بها جداً، وشكرته على عمله العلمي الإسلامي الجليل هذا، وطلبت منه المواصلة فى التأليف

والمثابرة على ذلك مع علمي بصعوبة هذه المهمة، فلا يقدر عليها إلا من وفقه الله، فوهبه الصبر والجلد والاحتساب لله فى خدمة العلم وأهله. وقد أطلعت على مؤلفاته الثلاثة فوجدتها كتباً قيمة ونافعة ومفيدة إن شاء الله تعالى، وخاصة فى هذا الوقت الذى يجب على المسلمين أن يتزودوا بالعلوم والمعارف والثقافة الإسلامية، حيث كثرت أخيراً المبادئ الهدامة الضالة المضلة «كالشيوعية والعلمانية والماسونية والبهائية والقاديانية وغيرها» وفى يوم الخامس عشر من ربيع الأول عام ١٤٠١ هجرية طلب منى المؤلف الشيخ عبد الله بن سعد بن عبد العزيز الرويشد أن يقرأ عليَّ مؤلفه الجديد، جزاه الله خيراً على مواصلة التأليف والمباشرة على ذلك، فالتأليف إحياء للعلم وإحياء العلم مذاكرته.

وقد اختار لمؤلفه هذا عنواناً هو «حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» وإن دراسة حياة وتاريخ وحقيقة دعوة شيخ الإسلام الإمام المصلح وقدوة العلماء الأعلام، مجدد العقيدة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب واجبة على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها، ويسترشد بهداها، لأن مصدرها وأساسها هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولقد وجدت هذا الكتاب مع صغر حجمه قد اشتمل على كل ما يجب أن يطلع عليه القارئ المسلم عن أصول هذه الدعوة السلفية الخيِّرة، لكى يعرف صفاءها ونقاءها من شوائب الشرك

والبدع والخرافات والخزعبلات ومحاربة الوثنية، والرجوع إلى عبادة القبور والأضرحة، فقد جاءت هذه الدعوة السلفية لتعيد شباب الإسلام غضاً طرياً، كما جاء به رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام.

فقد قرأ عليَّ المؤلفُ كتابه هذا من أوله إلى آخره مستعرضاً أبوابه وفصوله وجميع مواضيعه وبحوثه، فوجدت هذا الكتاب سفراً نفيساً قيماً قد بذل فيه المؤلف الفاضل جهداً مبروراً ومشكوراً إن شاء الله تعالى، وقد أعجبنى فى هذا الكتاب تعدد بحوثه ومواضيعه، ومن هذه البحوث التى اشتمل عليها: نسب الإمام، مولده ونشأته، رحلاته العلمية داخل الجزيرة وخارجها، تنفيذ الدعوة ومراحلها، مناوأة الدعوة والتآمر عليها، آل سعود واحتضانهم للشيخ ونصرتهم له، وحماية الدعوة والداعية، من الخطر الخارجي الذي كان يتهدد الدعوة، خطب الشيخ ورسائله ومثال من رسائله،أثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية، مؤلفات الإمام وآثاره العلمية، انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية، رسالتان هامتان تشرحان حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية.

وأخيراً آراء المفكرين والعلماء المسلمين والعرب والمنصفين من الأمريكيين والأوربيين، وتأييد العلماء الفضلاء كالصنعانى والشوكانى وملا عمران لهذه الدعوة الإسلامية ولا يعرف الفضل إلا ذووه، وشبيه الشيء منجذب إليه.

رحمهم الله جميعا وأخيراً أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجزى المؤلف خيراً وسداداً وتوفقياً .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس المجلس الأعلى للقضاء
ورئيس هيئة كبار العلماء
ورئيس المجمع الفقهي برابطة
العالم الإسلامي بمكة المكرمة

حرر في ١٥ / ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ
الرياض

تصدير وتقديم

بقلم المؤلف : عبد الله بن سعد الرويشد

الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب علم من أعلام الإصلاح الدينى فى الشرق الإسلامى فى العصر الحديث، وكفاحه ونضاله، ودعوته إلى التوحيد المطلق، الخالص النقى من شوائب الشرك الوثنية، والمطهر من الخرافات والخزعبلات، مضرب الأمثال فى كل مكان من العالم الإسلامى على طيلة قرنين من الزمان وإلى قيام الساعة إن شاء الله.

وقد ربى الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب جيلا كاملا، تسلم الراية فى حياته وبعد مماته، عمل من أجل رفعة الإسلام، وإعزاز شأن المسلمين، وخلف هذا الجيل الذى ربى على يديه جيل فجيل فجيل، ممن خدموا الإسلام، وعنوا بشئون المسلمين، وناضلوا من أجل استعادة المجد الإسلامى التليد.

وشيخ الإسلام المصلح محمد بن عبد الوهاب كان للبيت السعودى الحاكم المجيد معه شأن وأى شأن، فهو الذى حماه بعد الله وآزره ونصره عبر العصور والأيام وبنى حكمه على هذه الدعوة للتوحيد وبتوحيد وعلى التوحيد، وأعانه على نشر

دعوته الإسلامية السلفية الخيرة، والنهوض بكل ما لديه من طاقة وقوة، وذلك من أجل حماية العقيدة، وصيانة الدعوة، وتصحيح المفاهيم والموازين، والرجوع بالمسلمين إلى حياة العزة والسيادة والنهضة، فقد بنت هذه الأسرة السعودية ملكها على التوحيد وللتوحيد وبالتوحيد.

والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان طيلة قرنين ونصف حتى اليوم موضع عناية الباحثين والمفكرين والمؤرخين من عرب وشرقيين وغربيين على السواء.

ولا تزال دعوته السلفية عالية الراية، مرفوعة اللواء، عزيزة الجانب، نبيلة المقصد، شريفة الاتجاه، رفيعة الصروح.

وقد تحدثت فى هذا الكتاب الموجز، عن:

- نسب الإمام
- مولده ونشأته
- رحلاته العلمية
- رحلته خارج الجزيرة العربية
- تنفيذ الدعوة ومراحلها
- مناوأة الدعوة والتآمر عليها
- آل سعود واحتضانهم للشيخ ونصرتهم له
- الخطر الخارجى الذى كان يتهدد الدعوة
- خطب الشيخ ورسائله، وذكرت مثالا من رسائله

ـ أثر الشيخ فى النهضة العلمية والأدبية

ـ مؤلفاته وآثاره العلمية

ـ انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية

ـ رسالتان تشرحان حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

ـ آراء المفكرين والعلماء العرب والمسلمين فى الإمام ودعوته ورأى دائرة المعارف البريطانية، وبعض المستشرقين.

ـ وآراء الباحثين الأمريكيين والأوربيين

وذكرن موقف الشعر والشعراء من الدعوة السلفية وتأييدهم لها. ومن حسن الحظ أن يصدر هذا الكتاب مع صدور الطبعة الثانية من كتابى عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية العظيمة فى جزأين، وبمناسبة إخراج هذا الكتيب الذى أرجو أن يكون مختصراً مفيداً عن حياة العلامة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته الإسلامية، وعقيدته السلفية، وجهاده وجهوده كما أرجو أن يكون سفراً نفيساً مفيداً لأبناء الإسلام والمسلمين الموحدين.

ثم إننى وأيم الحق دائما وأبداً أشعر من أعماق قلبى بمدى فضل الإمام العظيم محمد بن سعود، وشيخ الإسلام المصلح الكبير محمد بن عبد الوهاب علينا حيث إن كل واحد منهما يكمل الآخر ويسدد خطاه ويباركها ويناصرها، وذلك بإبراز

هذه الدعوة وحمايتها ومناصرتها بالنفس والنفيس وباللسان والسنان فلهذه الدعوة السلفية أفضال على أجيالنا المعاصرة، وعلى التاريخ العربى الحديث كافة وعلى كل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها، فدعائى لهما لقاء ما قاما به من الأعمال الجسام بإنارة الطريق بمشاعل الإسلام الصحيح فى الحياة.

والله أسأل أن يحشرهما مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ولقد طلب منى أستاذنا وشيخنا ووالدنا صاحب الفضيلة والسماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية الإفتاء والدعوة والإرشادات أن أقوم بتأليف كتاب عن الإمام المصلح شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن يكون كتاباً مختصراً ومفيداً إن شاء الله تعالى، وذلك بمنزله بحىّ البديعة بالرياض، ولقد قال سماحته: إنى أريد منك أن تؤلف كتاباً آخر مختصراً حيث إن كتابك الأول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ الجزء الأول والثانى مطول جداً، فبحوثه ومواضيعه كثيرة ومتشعبة والقارئ فى هذا الوقت لا يقبل إلا على الكتب الصغيرة والمختصرة، وكتابك الأول لن يقرأه إلا الباحثون والمتخصصون، وهم قلة بالنسبة والمقارنة بالقارئ العادى.

لذا لبيت طلب سماحته جزاه الله عن الإسلام

والمسلمين خير الجزاء وسدد خطاه ووفقه لخدمة الإسلام والمسلمين، فسماحته من علماء السلف الصالح فلكم خدم سماحة الشيخ المسلمين بعلمه وفضله وخلقه وماله وجاهه، فها هو ذا، الكتاب أو المؤلف المختصر بين يديك أيها القارئ الكريم والأخ المسلم أرجو الله أن يحوز رضاك. وأن ينال مثوبته كما أرجوه أن يمنحني فضله وإحسانه إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه والشكر لله من قبل ومن بعد.



حقيقة

دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

السلفية

إن دراسة مناقب الأعلام تملأ الأجيال المتأخرة روحاً تقدمية، ونفسا طموحة إلى العلا، شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسنة، وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «كنا أذل أمة فأعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله» لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة العطرة لنابتة البلاد العربية والأجيال الصاعدة خصوصا، ولكافة المسلمين عموماً لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصة من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

نسبة الإمام:

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها إلى تميم إلى نزار بن معد ابن عدنان، وهو إمام الدعوة السلفية الحديثة، والمجدد للعقيدة الإسلامية السليمة، وهو رائد النهضة الفكرية والعلمية والأدبية فى العصر الحديث باتفاق رجالات الفكر وأساطين التاريخ.

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله في بلدة العيينة بنجد قريباً من الرياض العاصمو السعودية سنة ١١١٥هـ ـ ١٧٠٣م، في بيت توارث بنوه العلم كابراً عن كابر، وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها، وكذلك كان جده ـ سليمان من قبله. وقد نشأ الإمام نشأة صالحة، ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه، وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما، وأكثر من القراءة والاطلاع على الكتب المتداولة بين الناس في ذلك العهد. وكان ذكياً ألمعياً ينفذ بذهنه وعقله إلى ما وراء النصوص المدونة، ويميز بين الحق منها والبهرج، فلم يجد فيما قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم، فأعجب بها ومال إليها، ورأى كثيراً مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات، والمروق عن الدين ومظاهر الرشك ماثلا أمام عينيه في معتقدات قومه وأعمالهم، لاسيا العامة منهم، فهو إذاً من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما، وإن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الأثر في توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته.

رحلاته العلمية :

وتطلع الشيخ إلى أفق علمي أرحب فذهب إلى مكة المكرمة حاجاً لله تعالى، وملتمساً فيها من العلماء من يشفي

غلته ويروى ظمأه، ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل إلى المدينة المنورة، والتقى هناك بالشيخ عبد الله بن إبراهيم ابن سيف، وهو عالم من أهالي المجمعة بنجد أقام بالمدينة، فأخذ ابن عبد الوهاب عنه، أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى.

رحلة الإمام خارج الجزيرة:

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء، بل لابد لها أن تنشد الكمال، وتسعى إليه، وتستعذب الصعاب، وتركب الأهوال، وتعتصم بالصبر، وتطلب الحقيقة في مظانها لعلها تظفر بشيء منها، وهكذا كان شأن الشيخ، فلم يجد بدا من الرحلة إلى بعض العواصم الإسلامية التي اشتهرت بكثرة العلماء فيها، وتوارثت البحث في مسائل الدين وعقائده، فرحل إلى العراق، ونزل بلدة الزبير من أعمال البصرة، وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعي، ولكن الإمام لم يقنع بالسماع والحفظ، بل برح يناقش ويحاول ويمحص ويوازن بين ما يلقي إليه، وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، فيجد فيما يقوله العلماء ميلاً وانحرافاً وخروجاً عن نصوص الدين وتعاليمه، وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل، فجاهر بآرائه هذه فأنكر ونقد كثيراً من بدع الناس وضلالاتهم وفساد عقائدهم، فثار به فريق من جهال البصرة وآذوه، وخرج منها في وقت الهجير خائفاً يترقب بلا زاد ولا

راحلة، وما كان الله ليترك مجاهداً في سبيل دينه، فقيض له رجلاً من أهل الزبير وهي بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون، فأعانه وحمله على دابته حتى خرج من هذه البلدة.

وفكر الشيخ بعد ذلك في مواصلة الرحلة إلى بلاد الشام لعله يجد فيها خيراً مما لقي بالعراق، ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر، ففقد ما كان معه من مال، وقفل راجعاً إلى بلاد نجد، ونزل بالأحساء، وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي من رجال الدين والعلم بها، وكان والد الإمام قد انتقل من العيينة إلى حريملاء بعد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن محمد بن معمر أدى إلى عزله عن قضائها، فرحل الإمام إلى أبيه وأقام معه في بلدته الجديدة.

تنفيذ الدعوة ومراحلها :

بدأ الشيخ دعوته في حريملاء ولم تلق هناك نجاحاً يذكر، ولكنه لم ييأس ولم يقنط، وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والده في عام ١١٥٣ هـ ــ ١٧٤٠ م، وهنا أعلن دعوته وجدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتبعه بعض أهلها وأيدوه، ولكن كان بحريملاء قبيلة يتبعها جماعة من الجهال يعيثون في الأرض فساداً، ويجاهرون بالفسق والمعاصي، فهتف الشيخ بهم ونادى بوجوب ردعهم وتنفيذ

حكم الشرع فيهم، فأضمروا له البغضاء، وحاولوا الفتك به، فحماه الله منهم وردهم على أعقابهم.

ولم يطلب للشيخ مقام بحريملاء بعد هذا الحادث، فانتقل إلى مسقط رأسه بالعيينة، وتلقاه أميرها عثمان ابن حمد بن معمر بالترحيب، وعاونه في دعوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصاً بعد أن أصهر الشيخ إلى أسرته، وقد تبعه كثير من الأهالي، ثم شرع في تنفيذ مبادئه علمياً، فاستأجر أناساً ليقوموا بقطع الأشجار التي يعظمها العامة، ثم خرج بنفسه إلى كبراهن فقطعها، ولا بد للشيخ أن يمضي في طريقه بلا وجل ولا تردد، فاتجه بنفسه إلى قبة قبر «زيد بن الخطاب» رضي الله عنه بقرية «الجبيلة» وأعد العدة لهدمها، فاستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له، ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله، فتقدم الشيخ وهدمها بنفسه حتى أتى عليها ومضى في سياسته العلمية «فأقام حد الزنى، ونفذ أحكام الشريعة» ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته، وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين.

مناوأة الدعوة :

وبينما الدعوة تشق طريقها إلى القلوب الصلدة فتصدعها، وإلى العقول الضالة فتردعها، وإلى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها، وتجلو صدأ الجهالة الذى ران عليها،

نرى سليمان بن محمد بن عريعر الحميدى حاكم الأحساء والقطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه، وقطع الخراج عنه إن لم يقتل الشيخ ويقضي على دعوته، ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته، فسار معه إلى الدرعية ورافقه في الطريق «الفريد الظفير وطوالة الحمراني» من رجال بن معمر بأمر منه، وكان الشيخ يسير في الرمضاء والحر يلفحه، ومعه مروحة من الخوص وهو يردد قول الله تعالى: **(وَمَنْ يتقِّ اللهَ يجْعَل لَه مَخْرجاً * ويرْزقْه مِنْ حيثُ لا يحْتَسِب ومَنْ يَتوكَّل علَى اللهِ فَهُو حَسْبه)** (١).

«وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وحتى وصل إلى الدرعية، وما قاله بعض المؤرخين من أن ابن معمر قد أمر (الفريد) أن يقتل الشيخ في منتصف الطريق فلا صحة لهذا القول.

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه:

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية في اليوم الخامس من شهر رجب عام ١١٥٨ هـ ونزل في بيت رجل فاضل هو «عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم» الذى أكرم وفادته، وكتم أمره خوفاً من بطش أمير الدرعية الأمير «محمد بن سعود» ورجاله، وأخذ الشيخ يدعو الناس إلى

(١) سورة الطلاق آيتا ٢، ٣

دعوته السلفية سراً، حتى استطاع أن يقنع الأمير «محمد ابن سعود» على تأييده ومؤازرته، وأقبل عليه الأمير وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وتنفيذ أحكام الشريعة، وقد عاونه على إتمام هذه المبايعة أخوا الأمير محمد ابن سعود وهما مشارى وثنيان، وكان عبد الله بن سويلم حضهما على تأييد الشيخ ومعاهدته من أجل نشر دعوته السلفية الخيرة، فبدأ بزوجة الإمام «موضي بنت أبي وطبان» لتكون عوناً لهما على زوجها، وكانت ذات عقل ودين، فألقى الله في قلبها محبة الشيخ ودعوته، فقالت لزوجها: إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فقبل قولها وألقى الله سبحانه في قلب الأمير محبة الشيخ، فأراد أن يرسل إليه فقال أخوا الأمير وزوجته: «إننا نرى أن تذهب إليه بنفسك، وأن تظهر لأهل الدرعية تكريمه واحترامه والاحتفال به، لأن العلم يُذهَب إليه ولاَ يذْهب العلم إلى أحد من الناس، فسار الأمير إليه وقابله في بيت ابن سويلم، ورحب الأمير بالشيخ وقال له: «أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة» فقال له الشيخ: «وأنا أبشرك بالعز والتمكين، والنصر المبين، وهذه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها قد سارت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم

بعض فأرجو أن تكون إمام يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك» وأخذ يشرح له الإسلام وشرائعه، وما يحل وما يحرم، وما عليه النبى صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى التوحيد والقيام في نصره، والقتال عليه، فلما شرح الله صدر الأمير محمد بن سعود بذلك، وتقرر عنده طلب من الشيخ المبايعة على ذلك فبايعه الشيخ على ذلك وقال: «إن الدم بالدم والهدم بالهدم» أى دمي دمك وهدمي هدمك، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين: أولاهما أننا إذا قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل وتستبدل بنا غيرنا، والثانية أن لي على الدرعية قانونا آخذه منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً» فقال الشيخ: أما الأولى فلك عليّ عهد الله ورسوله، وأما الثانية فلا فإن لك عليهم الزكاة، ولعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها.

وبسط الأمير يده، فبايعه الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وإقامته شرائع الإسلام والقرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبهذا تم لقاء القمة الإسلامي السياسي بين مؤسس الدولة السعودية الأول الإمام محمد ابن سعود، ومؤسس الدعوة السلفية الأول فى العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن هنا دخلت دعوة الشيخ في مرحلة التنفيذ والجد والعمل، وأيد أهل الدرعية صغيرهم

وكبيرهم دعوة الشيخ، واتباع تعاليمه السلفية، وبهذا اتحد (الدين والسياسة) وسارا في طريق سليم واحد، لهدف إسلامي نبيل واحد، ثم بدأ الشيخ يراسل ذوى الرأى في بلاد نجد من قضاة وعلماء وأعيان، فاستجاب له البعض وصد عنه آخرون، فسل أعوان الشيخ السيف للجهاد، وأعلنوا الحرب في سبيل الله، وقتال المارقين، ومات في هذه المعركة ابناء الأمير محمد بن سعود وهما: فيصل وسعود، وتوفي الأمير محمد، وولى مكانه إمارة الدرعية ابنه عبد العزيز ابن محمد بن سعود، وقد ولد الإمام محمد بن سعود عام ١١٣٨ هـ .وتوفي علم ١١٧٩ هـ الموافق ١٧٢٥ ـ ١٧٦٥ م. وفي عهده وبعد انتقال الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية أخذت الدرعية في الازدهار، تشد لها الرجال، وتضرب لها آباط الإبل لمقابلة الشيخ، وطلب العلم عليه، والتزود بعلومه، ومن نبعها الصافي ومعينها النمير، وفيها شيد الأمير مسجد الدرعية الكبير وفى عهد ابنه عبد العزيز زاد ازدهار الدرعية وقصدها الناس من كل مكان للقاء الشيخ ومبايعته، وقد أعلنت حريملاء الانضمام إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومؤازرته والاستجابه لدعوته، وقامت في حريملاء حروب وخصومات بين أنصار الدعوة وأعدائها، وكذلك قامت بين حريملاء والدرعية حروب وخصومات أخرى. انتهت بانتصار الدرعية وخضوع حريملاء خضوعا مطلقاً.

الخطر الخارجي :

على أن هذه الحروب لم تظل في دائرتها الداخلية الضيقة، فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الأتراك العثمانين، وكل يدعي الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه، فتبلبلت أفكار المسلمين في سائر البلاد، وقذفت السياسة في هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة، وخيلت للناس أن الشيخ متنبئ جديد يحاول القضاء على الإسلام والتعفية على آثاره، واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه في كل مكان. وتوفي الشيخ رحمه الله في إبان هذه المعارك سنة ١٢٠٦هـ ـــ ١٧٩٢م وله من العمر اثنان وتسعون عاماً، ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد، لكنه رأى مبادئه الإصلاحية ودعوته الإسلامية السلفية تشق طريقها، وتسود في جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاء في نشر دعوته إلى يومنا هذا، والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظيمة، وإذا كانت الحروب قد نالت من النجديين وأثقلت كواهلهم حيناً من الدهر، فإنها كانت الصقال الذى شحذ عزائمهم، وحرك هممهم، وأثار حماستهم للدفاع عن حوزة بلادهم، ونصرة مبادئهم، وكان لهم الغلب في آخر المطاف.

والسر في نجاح النجديين في حركتهم هذه يرجع إلى قوة الإيمان التي بثها الشيخ فيهم، والصمود فى سبيل

الدعوة، والاستبسال في الجهاد، وتعبئة قوى الشعب، وتعليمه فنون الحرب إلى جانب تعاليم الشريعة، فلقد كان بمنزل الشيخ مدرسة تسمى «وكر التوحيد» تلقن فيها علوم الدين طرفي النهار وفنون الحرب في أوسطه، وكان لذلك أثر عظيم في تقوية الروح المعنوية عند أنصار الدعوة ورجالها.

خطب الشيخ ورسائله :

قضى الشيخ طوال حياته معلماً وواعظاً، مرشداً مبينا لأحكام الدين، حاضاً على اتباعة والعزوف عما ينافي التوحيد من ضلال وبدع وشرك، ومحرضا على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، وقد حفظ بعض أحفاده كثيراً من خطبه، ولقد كان في خطبه يميل إلى مخاطبة قوية باللغة التي يفهمونها، وكان همه منصرفاً إلى المعاني لا إلى العبارات والتأنق في الأساليب، ولو فشل لأضاع كثيراً من جهده سدى، فما كانت البيئة النجدية في زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه.

مثال من رسائل الشيخ :

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية، وهي رسالة موجهه منه إلى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث والموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله (**لَيسَ كمثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّميعُ البَصِيرُ**)(١) فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفء، ولا ند له ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق من أهل التحريف والتعطيل، فقال الله تعالى: (**سُبْحانَ رَبّكَ ربِّ العِزَّة عمَّا يَصفُون * وسلامٌ علَى المرْسلينَ * والحَمْد للهِ رَبِّ العَالَمين**)(٢) فالفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ

---

(١) سورة الشورى الآية ١١. (٢) سورة الصافات الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢

وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأومن بأن الله فعال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور، وأعتقد بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، وأومن – بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد: (**فَمنْ ثَقلتْ مَوازِينه فأُولئكَ هُم المفْلِحونَ * ومَنْ خفَّت موَازِينهُ فأولٰئك الذِينَ خَسرُوا أنْفُسهم في جَهنَّم خالِدون**) (1) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرضه القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم، وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضا، كما قال الله تعالى: (**ولا يشْفَعُون**

(1) سورة المؤمنون آيتا ١٠٢، ١٠٣.

إلا لِمَن ارْتَضَى﴾[1] وقال: ﴿مَنْ ذا الذِى يشْفَع عِندَه إلا بإذْنِه﴾[2] وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله.

وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى ﴿فما تَنفَعُهم شَفاعةُ الشَّافِعِين﴾[3] وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنها اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، وأومن بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وأتولى أصحاب رسول الله، وأذكر محاسنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساوئهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى: ﴿والذِينَ جاءوا مِنْ بَعْدهم يقُولُون ربَّنا اغْفِر لَنا ولإخْوانِنا الذِينَ سَبقُونا بالإيمان ولا تَجْعل فى قُلُوبنا غِلاً للذِين آمنُوا ربنا إنَّك رَءوُف رَحيمٌ﴾[4] وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٨.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥.
(٣) سورة المدثر الآية ٤٨.
(٤) سورة الحشر الآية ١٠.

إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنبه، ولا أخرجه من دائرة الإسلام، وأرى الجهاد مع كل إمام براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم مالم يأمروا بمعصية الله. ومن ولي الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأوكل أسرارهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص العصيان، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة. فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد.

أثر الشيخ في النهضة العلمية والأدبية :

لا مراء في أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الصرخة المدوية، والصيحة التى نبهت الأمة من رقدتها،

ووجهت الأنظار إلى البحث والجدل، مناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، وحملت الناس على النظر في الكتاب العزيز، واستظهار كثير من آياته ومن الحديث النبوى الشريف، وهما الغاية القصوى من البلاغة والبيان والعلوم الدينية والعربية، تتشابك وتترابط، ولا يمكن الفصل بينهما إذ أن علوم اللسان العربي كلها ما قامت إلا لخدمة الكتاب والسنة وفهمها فهماً صحيحاً، فكان لابد من قيام حركة علمية شاملة. ونهضة فكرية عامة، ولكن لم تتكامل الأسباب لتنظيم هذه النهضة وتعميمها إلا قريبا، ومع ذلك خطت خطوات واسعة إلى الأمام، وإذا سارت الأمور على هذا المنوال فإنها تبشر بظهور فجر جديد يجعل معه هذه الجزيرة كما كانت من قبل منهلا للآداب، ومنبعاً للعلوم والمعارف، ومهداً للحضارة الحقة والمدينة الصادقة.

مؤلفات الإمام وآثاره العلمية :

تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، وكتاب التوحيد وكشف الشبهات في معنى التوحيد وما يخالفه، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه، وكتاب مفيد المستفيد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومختصر الإنصاف، وكتاب الكبائر، وله رسالة من التقليد، ومختصر الشرح الكبير، ومختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب المسائل التي خالف فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، وكتاب النبذة في معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار.

انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية :

إن استيلاء آل سعود على الحجاز، ودخولهم مكة والمدينة في أوائل القرن الثاني عشر الهجرى، أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية ليتعرفوا أهداف الدعوة، ويلتقوا بدعاتها، ويناقشوهم فيما يدعون إليه، وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادئ، وتعصبوا لها، ثم حصلوها معهم ودعوا إليها في بلادهم بعد رجوعهم إليها، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان وإلى الهند وسومطرة في آسيا، وكان هدف دعاتها في كل مكان تحل به هو محاربة الفساد، والقضاء على البدع والخرافات، وتصحيح العقيدة الدينية، ثم محاولته إقامة حكومة صالحة على أساس ديني لتنفيذ الأحكام الشرعية، وتقيم الحدود، كما انتقلت هذه الدعوة إلى مصر والشام وزنجبار واليمن، وكذلك الحركة السنوسية التي ابتدأت في الجزائر أواسط القرن التاسع عشر، ثم غزت طرابلس بعد ذلك، وانتشرت في شمال أفريقيا، ثم مدت رواقها نحو الجنوب، فتمكنت في السودان، وأن هذه الحركة السنوسية التي ناهضت الاستعمار في كل مكان حلت فيه، والتي كان مؤسسها في مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود

عليها، فعاشرهم وتتلمذ على علمائها، وتأثر بدعوتهم، ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته الإصلاحية على ضوء تعاليم الإصلاح الدينية الإسلامية التى أضرم نارها في الجزيرة العربية الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء.

ومن آثار هذا اللقاء الإسلامي السياسي بين مؤسس الدولة السعودية الأول الإمام محمد بن سعود، ومؤسس الدعوة السلفية الأول في العصر الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

١ ـ الدعوة إلى توحيد الله لا شريك له، ومحاربة الشرك، وأن لا يصدق شيئاً من العبادة لغير الله لا ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وتجديد العقيدة الإسلامية السلفية الصحيحة، ومحاربة الشرك ونفي البدع، وطرح التقاليد والعادات الباطلة، وتحقيق التوحيد، والدفاع عنه، ومحاربة الخرافات، والتوسل والوسيلة وتحريم التمسح بالقبور والأضرحة، وجعلهم واسطة بينهم وبين الله، والدعوة إلى صدق العبادة وإخلاصها لله رب العالمين، فلا إله غيره ولا معبود سواه.

٢ ـ إعلان الدعوة إلى الله، وجمع القلوب حول هذه الدعوة الإسلامية السلفية التي قيم الله لها دولة قوية تحميها، وسلطة سياسية كبيرة تدافع عنها، وهي الدولة السعودية

الماجدة الخالدة في صفحات التاريخ دولة القرآن والسنة، دولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ــ تنظيم بيت المال تنظيماً إسلامياً خالصاً على أساس من شريعة الإسلام، وعمل الرسول والصحابة، والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

٤ ــ إقامة هذه المملكة العربية السعودية الإسلامية السلفية، التى تحكم بكتاب الله وشريعة رسوله، تنفيذاً لقول الله تعالى: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُم الكَافِرون)** (١)، **(وَمَنْ لَمْ يحْكُم بما أَنزَلَ اللهُ فأُولَئِكَ هُم الظَّالمونَ)** (٢) **(وَمَنْ لَم يَحْكم بمَا أَنزلَ اللهُ فأُولَئِك هُم الفاسِقُون)** (٣) ولا شيء ينفذ إلا ما أقره الله ورسوله والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٥ ــ إلزام الناس بأداء فرائض الصلاة وعدم التهاون في أمور الدين، وحضور الصلوات الخمس في المساجد جمعة وجماعة في أوقاتها.

٦ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة إسلامية على كل مسلم ومسلمة.

٧ ــ الإلزام بطلب العلم وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٤.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٥.
(٣) سورة المائدة الآية ٤٧.

في كل زمان ومكان.

٨ ـ تعاون الجماعة الإسلامية لنشر هذه الدعوة السلفية، والدفاع عنها ومحاربة أعدائها ورد عاديات العدوان عليها.

رسالتان هامتان تشرحان عقيدة الشيخ وحقيقة دعوته السلفية

- ١ -

رسَالة الحاكم العادل والعالم العامل الإمام عَبد العزيز ابن الإمام محمد بن سعود رحمه الله في حقيقة دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء الشرق والمغرب:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فإن الله عز وجل شأنه، وتعالى سلطانه، لم يخلق الخلق عبثاً، ولا تركهم سدى، وإنما خلقهم لعبادته،

فأمرهم بطاعته، وحذرهم مخالفته، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة، إما فى ناره بعدله، أو فى جنته بفضله ورحمته، قد أخبر عز وجل بذلك فى كل كتاب أنزله، وعلى لسان كل رسول أرسله، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية، قال تعالى: **(وما خَلقْت الجنَّ والإنْسَ إلاَّ ليَعبُدُون)** (١) وقال: **(واعْبُدوا الله ولا تُشْرِكُوا بهِ شيْئاً)** (٢) وقال سبحانه: **(وقَضَى ربُّك ألاَّ تعبُدوا إلاَّ إيَّاهُ)** (٣)، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، مختصة بجلاله وعظمته، فهى الغاية المحبوبة له تعالى شأنه والمرضية له، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه: **(اعْبدُوا الله مَا لكُم مِنْ إلهٍ غيْره)** (٤) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل، كل قال لقومه: **(اعْبُدوا الله ما لَكُم مِنْ إلهٍ غَيْره)** وذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل والإله الحق هو الله. قال تعالى: **(فاعْلَم أنهُ لا إله إلاَّ الله)** (٥) وقال تعالى: **(ولَقَد بَعثْنا فِى كلِّ أمةٍ رَسُولا أنِ اعْبدُوا الله واجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ)** (٦) وقال تعالى: **(وما أرْسَلنا مِنْ قَبلكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نُوحى إلَيْه أنَّه لا إله إلا أنَا فاعْبُدون)** (٧).

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.
(٢) سورة النساء الآية ٣٦.
(٣) سورة الإسراء الآية ٢٣.
(٤) سورة الأعراف آية ٥٩.
(٥) سورة محمد آية ١٩.
(٦) سورة النحل آية ٣٦.
(٧) سورة الأنبياء آية ٢٥.

معنى كلمة التوحيد[1]

فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله، وكلام الأئمة الأعلام رضى الله عنهم كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أن (لا إلٰه إلا الله) معناها يخصها، وهى ترك كل معبود مع الله وإخلاص الإلهية له تعالى وحده، وأن العبادة بأفعالهم (؟) مما أمرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله إذا جعلت لغيره تعالى صار ذلك الغير إلٰهاً مع الله[2] وإن لم يعتقد الفاعل ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى[3]، وليست خاصة بالإيمان، فأفعاله تعالى وتقدس، كخلقه السموات والأرض، والليل والنهار، ورزق العباد وتدبيره أمورهم، لأن هذا يسمى توحيد الربوبية الذى أقر به الكفار الأولون فى سورة يونس والزمر والزخرف وغيرها، وأن معناها لغة: الذل والخضوع، وشرعاً: ما أمر به من غير اطراد عرفى، ولا اقتضاء عقلى، من أفعال العباد وأقوالهم المختصة بجلال الله وعظمته، كدعائه تعالى بما لا يقدر عليه إلا هو: من جلب نفع أو

---

(١) جميع العناوين منقولة من أعالى صفحات طبعة المنار وهذا لتمام الفائدة.

(٢) أى صار بتوجيه العبادة الفعلية إليه إلٰهاً معبوداً مع الله أى أتخذ إلٰهاً، وقد غلط من قال: إن الإلٰه هو المعبود بحق وإنما الله عز وجل، ودليلنا أن الله تعالى قد سمى معبودات المشركين آلهة فى مثل قوله تعالى: **(فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله)**، وقوله **(فراغ إلى آلهتهم)**.

(٣) أى شاء أن يسمى شركه شركاً أم أبى فسماه توسلاً مثلاً.

دفع ضر، أو رجائه فيه (١) والتوكل عليه، وذبح النسك والنذر لجلب خير أو دفع ضر لا يقدر عليه إلا الله، والإنابة والخضوع، كل ذلك مختص بجلالة الله كالسجود والتسبيح والتهليل، فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قوله: «لا إله إلا الله». ولا يغنى أحد التوحيدين عن الآخر، بل صحة أحدهما مرتبطة بوجود الآخرو فلما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرجونا وبدعونا، وجعلوا اليهود والنصارى أخف شرًّا منا ومن أتباعنا، ولم ننازع العدو فى سائر المعاصى بأنواعها، ولا المسائل الاجتهادية، فلم يجر الاختلاف بيننا وبينهم فى ذلك، بل فى العبادة بأنواعها، والشرك بأنواعه.

الشفاعة والوساطة وحق الله وحق رسوله وأوليائه

فنحن نقول: ليس للخلق من دون الله من لى ولا نصير. وسائر الشفعاء ــ محمد صلى الله عليه وسلم سيدهم وأفضلهم فمن دونه ــ لا يشفعون لأحد إلا بإذنه (**مَنْ ذا الذِى يشْفَع عنْدَه إلاَّ بإذْنِه**) (٢). (**أفحِسَب الذينَ كَفَروا أنْ يتَّخذُوا عِبَادى مِنْ دونى أوْلياء**) (٣). (**ولا**

(١) الضمير فى رجائه لله تعالى وفى (فيه) لما لا يقدر عليه غيره وإلا لقال «ورجائه» فقط أو: والرجاء فيه.

(٢) سورة البقرة الآية ٥٥.

(٣) سورة الكهف الآية ١٠٢.

يشفعون إلاَّ لمنِ ارتَضَى وهُم مِنْ خَشْيَته مُشْفِقون) [1]،
وإذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تسأل فى هذه الدار إلا منه سبحانه وتعالى، وأن يشفع فيه [2] نبيه صلى الله عليه وسلم، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق فى جلب الخير أو دفع الشر، ولا يجعل لهم من حقه شيء، لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها بما شرع فى كتابه، وعلى لسان رسوله، وحق أنبيائه عليهم السلام الإيمان بهم وبما جاءوا به، وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذى أنزل معهم، ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين، وعلامة الصدق فى ذلك اتباع هديهم، والإيمان بما جاءوا به من عند ربهم. قال تعالى: **(قلْ إنْ كنْتُم تِحبُّون الله فاتَّبعونى يُحْبِبكم اللهُ)** [3] والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التى أثبتها الله فى كتابه، وهى من بعد إذنه لمن رضى عنه أهل التوحيد. وأما المقام المحمود الذى ذكره الله فى كتابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) سورة الأنبياء آية ٢٨.
(٢) أى فى السائل.
(٣) سورة آل عمران آية ٣١

وكـذلـك حـق أولـيـائه محبتهم، والترضى عنهم، والإيمان بـكـرامـاتهـم، لا دعـاؤهـم لـيـجـلـبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر علـى جـلـبـه إلا الله تـعـالـى، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر علـى دفـعـه إلا هـو عـز وجـل، لأن ذلـك عـبـادة مختـصـة بجلالـه تـعـالـى وتـقـدس. هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت لـشـخـص مـعين كـظـهـور اتباع سنة، وعمل بتقوى فى جميع أحـوالـه، وإلا فـقـد صـار الـولـى فـى هـذا الزمان من أطال سـبـحـتـه، ووسـع كـمـه، وأسـبل إزاره، ومد يده للتقبيل، ولـيـس شـكـلا مخـصـوصـاً، وجمـع الـطـبول والبيارق، وأكل أمـوال عـبـاد الله ظـلـمـاً وادعـاء، ورغب عن سنة المصطفى وأحـكـام شـرعـه. فـنـحـن إنمـا نـدعـو إلـى الـعـمـل بالقرآن الـعـظيم، والـذكـر الحـكـيم، الـذى فـيـه الـكـفـايـة لمن اعتبر وتـدبـر، وبـعين بـصـيـرتـه نظر وفكر، فإنه حجة الله وعهده، ووعـده ووعيده، وأمانه وقدره، ومن اتبعه عاملا بما فيه جد جده، وعلا مجده، وأنار رشده، وبان سعده.

والـتـوحـيـد لـيـس هـو محل الاجتهاد، فلا تقليد فيه ولا عـنـاد. ولا نـكـفـر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يحكم بمـا أنـزل الله من التوحيد، بل حكم بضده الذى هو الشرك الأكبر الـذى لا يـغـفـر، كما سـنـذكـر أنـواعه، فجعله ديناً، وسماه الوسيلة عناداً وبغياً، ووالى أهله وظاهرهم علينا، ولم

يقوم أركان الدين ممتنعاً أن دعوناه، وأمروهم أن يبدءونا بقتالنا (١) ليرجعونا عن دين الله الذى وصفنا، إلى ما هم فيه وكانوا عليه من الشرك بالله، والعمل بسائر ما لا يرضى رب العباد **(ويأبى اللهُ إلاَّ أنْ يتمَّ نُورهُ ولَو كَره المشْرِكُون)** (٢) وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعاً ووسيلة. ونحن نقول: هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره، المعتقدون فى الأحياء الغائبين المدعوين والأموات يطلبون كشف شدتهم، وتفريج كربتهم، وإبراء مريضهم، ومعافاة سقيمهم، وتكثير رزقهم، وإيجاده من العدم، ونصرهم على عدوهم برًّا وبحراً، لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة، وهما من أعظم المخاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدعنا، وجعل اليهود والنصارى أخف شرًّا منا ومن أتباعنا.

وحقيقة قولنا إن الشفاعة وإن كانت حقًّا فى الآخرة فلها أنواع مذكورة فى محلها، ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته صلى الله عليه وسلم، بل وغيره من الشفعاء، فهى ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى، فإنها لأهل الموقف عامة، وليس منها ما يقصدون. فالوصف «من

(١) كذا، والظاهر أن يقال يبدءونا بالقتال ــ أو ــ يبدءوا بقتالنا.

(٢) سورة النور الآية ٣٢.

مات لا يشرك بالله شيئاً» كما فى البخارى (١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل نبى دعوة مستجابة، وإنى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى، وهى نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً». وحديث أنس بن مالك الذى فى الشفاعة يطوله. وحديث الذراع الذى رواه أبو هريرة المتفق عليه. وإذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه أن يشفع فيه نبيه هو المطلوب.

---

(١) الحديث متفق عليه وجملة (وهى نائلة) إلخ زيادة انفرد بها مسلم.

إرادة الله فى التكوين وإرادته فى التكليف

والشفاعة لله وبإذنه ومنه تطلب

فالواجب على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالإقبال إليه والاتكال عليه، والقيام بحق العبودية لله عز وجل، فإذا مات موحداً استشفع[1] الله فيه نبيه، بخلاف من أهمل ذلك وتركه، وارتكب ضده من الإقبال إلى غير الله بالتوكل عليه، ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله، والالتجاء إلى ذلك الغير، مقبلا على شفاعته، متوكلا عليها، طالباً لها من النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره، راغباً إليه فيها، تاركاً ما هو المطلوب المتعين عليه، المخلوق لأجله. هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم، ولا نشأت فتنة فى الوجود إلا بهذا الاعتقاد، فصار شقيًّا بالإرادة الكونية والعاقبة الغوية، لأن الإرادة الدينية أصل فى إيجاد المخلوقات، والإرادة الكونية

(١) لعل الأصل شفع بتشديد الفاء أى أذن له بالشفاعة فيه وقبلها منه، من قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «اشفع تشفع»، وأما الاستشفاع فهو طلب الشفاعة يطلبها أهل الموقف من الرسل عليهم السلام. ويحتمل أنه استعمله بمعنى الإذن بالشفاعة.

أصل (١) فمن كتبت عليه الشقاوة فلا يسير إلا لها، ولا يعمل إلا بها. قال تعالى: **(ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)** (٢) فهذه هى الإرادة الكونية، وهى لا تعارض الإرادة الدينية التى هى الأصل فى إيجاد المخلوقات (٣) مع بقائه مختاراً مدركاً للأشياء. ومن كان هذا وصفه فلا ينالها، لأن الله تعالى ليس له شريك فى الملك، كما أنه ليس له شريك فى استحقاق العبادة - بل هو المختص بها، ولا تليق إلا بجلاله وعظمته، فلا إله إلا هو وحده لا شريك له. ولهذا جسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذن الإله وحده، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، لا ملك ولا نبى ولا غيرهما لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك به فى حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه

---

(١) فى هامش الأصل ما نصه — أقول: فى هذا الكلام شىء ساقط وخلل، والذى يوضح المراد من هذين الأصلين قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «الإرادة فى كتاب الله نوعان: إرادة تتعلق بالأمر، وإرادة تتعلق بالخلق. فالإرادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره، وأما إرادة الخلق فأن يريد ما يفعله هو. فإرادة الأمر هى المتضمنة للمحبة والرضا، وهى الإرادة الدينية. والإرادة المتعلقة بالخلق هى المشيئة وهى الإرادة الكونية القدرية. ذكره شيخ الإسلام فى المنهاج.

(٢) سورة هود آيتا ١١٨، ١١٩.

(٣) كرر قوله أن الإرادة الدينية هى الأصل فى وجود المخلوقات، والمتبادر أن الإرادة الكونية هى فى الإيجاد والتكوين. وإنما المراد بالإرادة الدينية التكليف. ولعله يقصد العلة الغائية لخلق المكلفين أخذاً من قوله تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)**.

بشفاعته، ولا سيما إن كانت من غير إذنه. فجعله يفعل ما طلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه، ولهذا قال عز من قائل: (قُلْ لِلهِ الشَّفاعةُ جَميعاً) وقال: (ولَقَد جِئْتُمُونا فرادَى كما خَلَقْناكم أوَّلَ مرَّة وتركْتُم ماخَوَّلناكم وراءَ ظُهورِكم، وما نَرى مَعَكم شُفَعاءكم الذِينَ زَعمتم أنَّهم فِيكُم شُركاء، لقَد تقَطَّع بينكُم وضلَّ عنْكم ما كنْتُم تزْعُمون)(١) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالإذن من الله والرضا عن المشفوع له. وقال تعالى: (مالَكُم مِنْ دُونِه من وليٍّ ولا شَفيعٍ أفَلاَ تَتَذكرُون)(٢)، وقال تعالى: (وأنْذِر بِهِ الذِينَ يخافُونَ أنْ يُحشَروا إلَى ربِّهم لَيس لَهم من دُونِهِ ولى ولا شَفيعٌ لعلَّهم يتَّقُون)(٣) والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مع ملاحظته وعدم الاقتصار عليه.

(١) سورة الأنعام آية ٩٤.

(٢) سورة السجدة آية ٤.

(٣) سورة الأنعام آية ٥١.

الدعاء مشروع للموتى وللنبى ـ لا دعاؤهم

وأما دعاء الله عز وجلِ للغير فقد مضت السنة أن الحى يطلب منه سائر ما يقدر عليه، ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة قد وردت بها الآثار الصحيحة فى مسلم وغيره، فإن كانت للميت فهى آكد. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول: «اسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل» فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء، فإذا قام المسلمون على جنازته دعوا له لا به، وشفعوا له بالصلاة عليه لا استشفعوا به، فبدل أهل الشرك والبدع قولا غير الذى قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه ثانياً عنهم كان أو قريباً، والاستغاثة به والهتف باسمه عند حلول الشدة. وتركوا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه. وقصدوها بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت، وتذكيرا بالآخرة، فبدلوا ذلك بسؤال الميت نفسه، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة، وحضور القلب وخشوعه عندها أعظم منه فى الصلاة والمساجد ووقت الإحسان.

وإذا شرع الدعاء لسائر المؤمنين فالنبى صلى الله عليه وسلم أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه،

ويدعى له بالوسيلة كما فى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ، فإنه من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها درجة فى الجنة لا ينبغى أن تكون إلا لعبد من عباد الله. وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى يوم القيامة».

واستشفاع العبد فى الدنيا إنما هو فعل السبب لحصول شفاعته له يوم القيامة كما عد فيما جاء به قولا وعملا واعتقاداً (١)، وإنما سئلت له الوسيلة مع تحققها تنويهاً بقدره، ورفعاً لذكره، ويعود ثواب ذلك إلينا. فهذا هو الدعاء المأثور، وهو فارق بين الدعاء الذى أحبه والذى نهى عنه، ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولا من غيرهم من أئمة السلف فيما نعلمه أن النبى صلى الله عليه وسلم يُسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره.

قال الإمام مالك رحمه الله فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق فى المبسوط عنه، والقاضى عياض فى الشفاء

(١) المفهوم من العبارة أن سبب حصول الشفاعة فى الآخرة هو اتباع النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الأقوال والأفعال والعقائد، لا طلبها باللسان منه، فإن هذه بدعة غير مشروعة.

والمشارق، وغيرهما من أصحاب مالك عنه: لا أرى أن يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو، ولكن يسلم ويمضى. وقال أيضا فى المبسوط عن مالك: لا بأس لمن قدم من السفر أو خرج إليه أن يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويصلى ويسلم عليه، ويدعو له ولأبى بكر وعمر. فقيل له: إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه وهم يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر، يأتون عند القبر فيسلمون عليه، ويدعون ساعة. فقال: لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه فى بلدنا، لا من الصحابة ولا غيرهم، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك: يكررون المجىء إلى القبر، بل كانوا يكرهونه إلا لمن جاء من سفر أو أراده (١). انتهى.

ما يفعل عند قبره صلى الله عليه وسلم والمأثور منه

وتلاوة الآية فى قوله: **(وَلَوْ أَنَّهم إذْ ظلمُوا أنْفُسهم)** (٢) الآية، والاستغفار بحضرة القبر، وإن قال به جماعة من متأخرى الفقهاء كلهم لم يقولوا

(١) روى هذا عن ابن عمر ولم يكن يفعل كثيراً.

(٢) سورة النساء آية ٦٤.

يدعى صاحب القبر إنما يدعى الله، بل المحفوظ عنهم أن الميت والغائب لا يُسأل منه شيء لا استغفار ولا غيره.

واستغفارهم الله لا الرسول صلى الله عليه وسلم، وحياته في قبره برزخية، ولا تقتضى دعاءه وأصحابه أعلم بها منا ولم يأت أحدهم إلى القبر فيسأله ويستغيث به، وقد ثبت النهى منه عليه الصلاة والسلام أن يتخذ قبره عيداً، قال أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن علىّ بن الحسين رضى الله عنهما قال: أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تتخذوا قبرى عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم» رواه عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى فى مختاراته، وروى سعيد بن منصور فى السنن عن أبى سعيد مولى المهدى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تتخذوا قبرى عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علىّ حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغنى» روى هذا الحديث أبو داود عن أبى هريرة ورواه سعيد بن منصور فى سننه من حديث أبى سعيد مولى المهدى، ورواه أيضاً من حديث الحسن بن الحسن ابن على رضى الله عنه، وهذان الحديثان وإن كانا مرسلين فهما يقويهما حديث أبى هريرة المرفوع. وفى الصحيحين من

حديث أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تشدوا الرحال إلى مسجد من المساجد إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا»، وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم (١)، وهو إن كان معناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد من المساجد إلا إلى الثلاثة التى قد ذكرت، فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة إنما هو للصلاة فيها، والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن، والاعتكاف الذى هو من الأعمال الصالحة.

ما يفعل عند قبره صلى الله عليه وسلم والمأثور منه

وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم حتى مسجد «قبا» يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة، ولا يشرع شد الرحل إليه من بعيد، ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى إليه كل سبت ماشياً وراكباً، وكان ابن عمر يفعله كما فى الصحيح، فإنه كما أسس على التقوى فمسجده صلى الله عليه وسلم أعظم فى

(١) رواه الجماعة كلهم ولفظه المشهور: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» وفى لفظ لمسلم «لا تشدوا» بالجمع والخطاب.

تأسيسه على التقوى فقال: «مسجدى هذا»، فكلا المسجدين أسس على التقوى، ولكن اختص مسجده بأنه أكمل فى هذا الوصف من غيره، فكان يقوم فى مسجده يوم الجمعة، ويأتى مسجد «قبا» يوم السبت، وإذا كان السفر غير الثلاثة ممتنعاً شرعاً مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة (١) ويستحب أخرى، وقد جاء فى قصد المساجد من الفضل مالا يحصى، فالسفر إلى مجرد القبور أولى بالمنع. ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التى أحدثها الملوك وأشباههم، والأحاديث التى رواها الدارقطنى فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة، منهم ابن الصلاح، وابن الجوزى، وابن عبد البر، وأبو القاسم السهيلى، وشيخه ابن العربى المالكى، والشيخ تقى الدين، وغيرهم؛ ولم يجعلها فى درجة الضعيف إلا القليل، وكذلك تفرد بها الدارقطنى عن بقية أهل السنن والأئمة كلهم يرون بخلافه وأجل حديث روى فى هذا الباب جديث أبى بكر البزاز، ومحمد بن عساكر، حكاه أهل المعرفة بمصطلح الحديث، كالقشيرى والشيخ تقى الدين وغيرهما، وإنما رخص صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور مطلقاً بعد أن نهى عنها كما ثبت فى الصحيح، لكن بلا

(١) كذا بالأصل ولعل فى العبارة سقط.

شد رحل وسفر إليها ، للأحاديث الواردة فى النهى عن ذلك كما تقدم .

زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والنهى عن اتخاذ القبور مساجد

وإذا جاء السفر(١) المشروع لقصد مسجد النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعا لأنها غير مقصودة استقلالا ، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر كما تقدم عن مالك ، وما حكاه الغزالى رحمه الله ومن وافقه من متأخرى الفقهاء من زيارة القبر(٢) فرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده ، بل يصلى ويسلم عليه ، ويسأل له الوسيلة ، ثم يسلم على أبى بكر، ثم عمر، ولا يقصد الصلاة عند القبر، للعنه صلى الله عليه وسلم المتخذين قبور أنبيائهم مساجد. واللعنة فى كلام الله وكلام رسوله لا تجامع إلا الحرمة والإثم ، لا مجرد الكراهة ، ولقوله : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال ابن حجر رحمه

---

(١) استعمل جاء بمعنى كان أو وجد إن لم يكن محرفاً عن جاز.

(٢) لعل أصله من السفر لأجل زيارة القبر.

الله فى (الإمداد الموسوم بشرح الإرشاد) : ينوى الزائر المتقرب السفر إلى مسجده صلى الله عليه وسلم ، وشد الرحل إليه ، ولتكون زيارة القبر تابعة . انتهى .

واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم إما فى الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين كود وسواع ويغوث وتماثيل طلاسم الكواكب ونحو ذلك ، يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم . والشرك بقبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أو الرجل المعتقد صلاحه ، أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر[1] ، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعُون لله فى الصلاة ، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم ، والاستغاثة بهم ، وسؤال النصر على الأعدا ، وتكثير الرزق ، وإيجاده ، والعافية ، وقضاء الديون ، ويبذلون لهم النذور لجلب ما أملوه ، أو دفع ما خافوه ، مع اتخاذهم أعياداً ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلها ، واستلامها ، وتعقير الخدود على تربتها ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، والطلبات التى كان عليها عباد الأوثان ، يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم .

(١) إن أصنام قوم نوح تماثيل لرجال صالحين اتخذوها ذكرى لهم ثم عظموها تعظيم العبادة كما رواه البخارى عن ابن عباس .

فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته، وتفريج كربته، ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران، والنجاة من النيران، وأنها تجبّ ما قبلها من الآثام، بل قد وجد هذا الاعتقاد فى الأشجار والغيران، يهتفون باسمها واسم من ينسبون إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد.

عبادة القبور بالدعاء وغيره شرك

والله تعالى عز شأنه قد فسر هذا الدعاء فى مواضع أخر بأنه عبادة محضة كقوله: (**وقيل لَهم أينما كنْتُم تعْبدُون مِنْ دُونِ اللهِ هلْ ينْصُرونكم أوْ ينْتَصِرون**) [1]، وقوله: (**إنَّكم وما تعْبدُون مِنْ دُونِ اللهِ حَصَب جَهنَّم أنتُم لَها وَارِدون**) [2]. والأنبياء والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل فى عموم قوله سبحانه: (**إنَّ الذِينَ سَبقتْ لَهم منَّا الحسْنَى أولئِك عنْها مُبْعدونَ**) [3] كما هو سبب النزول، وقوله عز شأنه: (**لا أعْبدُ ما تَعبدُون**) فدعاؤهم آلهتهم هو عبادتهم لها، ولأنهم كانوا إذا جاءتهم

(١) سورة الشعراء آية ٩٢. (٢) سورة الأنبياء آية ٩٨.
(٣) سورة الأنبياء آية ٥١.

الشدائد دعوا الله وحده وتركوها، ومع هذا فهم يسألونها بعض حوائجهم بواسطة قربهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم. فأمر الله العباد بإخلاص تلك العبادة له وحده، فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة، فإن ذلك دين المشركين. قال الله تعالى فيهم: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُون مِثْقالَ ذَرَّةٍ فى السَّمٰوات ولا فى الأَرْضِ وما لَهُم فِيهِما من شِرْكٍ وما لَهُ مِنْهُم مِنْ ظَهِير**﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتم مِنْ دُونِه فلاَ يَمْلِكُون كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم ولا تَحْوِيلا**﴾ (٢) الآية.

وإنما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لأنهم يدعون الملائكة والأنبياء، ويصورون صوراً ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه وذلك بطرق مختلفة (ففرقة) قالت: ليس لنا أهلية مباشرة دعاء الله ورجائه بلا واسطة تقربنا إليه وتشفع لنا لعظمته. (وفرقة) قالت: الأنبياء والملائكة ذوو وجاهة عند الله ومنزلة عنده؛ فاتخذوا صورهم من أجل حبهم لهم ليقربوهم إلى الله زلفى. (وفرقة) جعلتهم قبلة فى دعائهم وعبادتهم. (وفرقة) اعتقدت أن لكل صورة مصورة على صورة الملائكة والأنبياء وكيلا موكلا بأمر الله، فمن أقبل على دعائه

(١) سورة سبأ آية ٢٢.
(٢) سورة الإسراء آية ٥٦.

ورجائه وتبتل إليه قضى ذلك الوكيل ما طلب منه بأمر الله وإلا أصابته نكبة بأمره تعالى. فالمشرك إنما يدعو غير الله بما لا يقدر عليه إلا هو تعالى ويلتجئ إليه فيه ويرجوه منه بما يحصل له في زعمه من النفع، وهو لا يكون إلا فيمن وجدت فيه خصلة من أربع: إما أن يكون مالكاً لما يريد منه داعيه، فإن لم يكن مالكاً كان معيناً، فإن لم يكن كان ظهيراً، فإن لم يكن كان شفيعاً، فنفى الله سبحانه وتعالى هذه المراتب الأربع عن غيره، والشركة والمظاهرة والشفاعة التي لأجلها وقعت العداوة والمخاصمة بالآية المتقدمة وبقوله: (**وقُل الحمدُ للهِ الذى لَم يتَّخذْ ولَداً ولَم يكُن لهُ شَريكٌ فى الملكِ**)[1] الآية، وقوله: (**قُلْ مَنْ بيدهِ مَلَكوت كُلّ شَيْءٍ وهُو يُجيرُ ولا يُجار عليهِ**)[2]، وقوله: (**قلِ اللّهمَّ مالِكَ المُلك**)، وقوله: (**لمنِ المُلك اليوْمَ؟ للهِ الوَاحِد القَهَّار**)[3]، وقوله: (**يَومَ لا تملكُ نفسٌ لنفْسٍ شَيئاً والأمرُ يَوْمئذٍ للهِ**)[4]، وقوله: (**مالِكِ يَوْم الدِّين**)، وقوله: (**وخَشَعت الأصْواتُ للرَّحمن فلا تَسمع إلاَّ همساً**)[5]، فأثبت سبحانه مالا نصيب فيه لمشرك البتة، وهى الشفاعة بإذنه لمن رضى عنه وهو سبحانه يعلم

(١) سورة الإسراء آية ١١١
(٢) سورة المؤمنون آية ٨٨.
(٣) سورة غافر آية ١٦.
(٤) سورة الانفطار آية ١٩.
(٥) سورة طه آية ١٠٨.

السر وأخفى، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولهذا لما قالت الصحابة رضي الله عنهم: أربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ أنزل الله سبحانه: **﴿وإذا سَألكَ عِبَادِي عنّي فإنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعوةَ الدّاعي إذَا دَعَانِ﴾**(١) الآية، وقال تعالى: **﴿أَمِ اتَّخذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفعَاء قلْ أوَ لَو كانُوا لا يمْلِكُون شَيْئاً ولا يعْقِلُون﴾**(٢).

حقيقة التوحيد

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعالى الألوهية، المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه دعائه والاستعانة به والتوكل عليه، وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده، والموالاة في ذلك والمعاداة فيه وأمثال هذا ناظراً إلى حق الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين الحقين. وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ومحبته موالاته وطاعته، وهذا من تحقيق لا إله إلا الله، لأن معنى الإله عند الأولين ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله والتعظيم والإجلال والخضوع، فالرجاء بها هو مختص من عند الله وذبح النسك له قال

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦. (٢) سورة الزمر آية ٤٣.

تعالى: (ومن النَّاس مَنْ يتَّخذُ مِنْ دُون اللهِ أنْداداً يحبُّونَهم كحُبِّ الله)(١). (تاللهِ إنْ كنَّا لفى ضَلالٍ مُبينٍ* إذْ نُسوِّيكُم بربِّ العالمين)(٢) وهم ما سووهم به لا فى الصفات ولا فى الذات ولا فى الأفعال كما حكى الله عنهم فى الآيات، والشاهد الله بأنه لا إلٰه إلا هو، وقائلها نافياً قلبه ولسانه الألوهية كل ما سواه من الخلق، ومثبتاً به الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق، فيكون معرضاً عن ألوهية جميع المخلوقات لا يتألههم بما لا يقدر عليه إلا الله، مقبلا على عبادة رب الأرض والسموات، وذلك يتضمن اجتماع القلب فى عبادته ومعاملته على الله، ومفارقته فى ذلك كل ما سواه، فيكون مفرقاً فى عمله وقصده وشهادته وإرادته ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالماً بالله ذاكراً له عارفاً به، وأنه تعالى مباين لخلقه، منفرد عنهم بعبادته(٣) وأفعاله وصفاته، فيكون محبًّا فيه مستعيناً به لا بغيره، متوكلا عليه لا على غيره. وهذا المقام هو المعنى فى (إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستَعينُ) وهى من خصائص الألوهية التى يشهد له بها تعالى عباده المؤمنون، كما أن رحمته لعبيده، وهدايته إياهم، وخلقه السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الآيات من خصائص الربوبية التى يشترك فى

(١) سورة البقرة آية ١٦٥.
(٢) سورة الشعراء آيتا ٩٧، ٩٨.
(٣) أى يكون العبادة تكون له وحده، ويجوز أن تكون أصل الكلمة بذاته.

معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، حتى إبليس عليه اللعنة معترف بها في قوله تعالى: ﴿ربِّ فأنْظِرني إلَى يَوْم يُبْعثُون﴾ (١)، وقوله: ﴿بما أغْويتَني لأزينن لَهم في الأرْضِ ولأغْوِينَّهم أجْمعين﴾ (٢)، وأمثال هذا الخطاب الذى يعرف بأنه ربه وخالقه ومليكه، وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس، وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله محق. وكذلك المشركون الأولون يعرفون ربوبيته تعالى وهم له بها يعترفون قال تعالى: ﴿قلْ لمنِ الأرْضُ ومَنْ فِيها إنْ كُنتُم تعْلَمون * سَيقُولونَ لِله﴾ (٣)، وقال: ﴿ولَئن سألتهُم مَنْ خَلَق السَّمواتِ والأرْضِ وسخَّر الشَّمْس والقَمَر ليقُولنَّ الله﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿فإذا رَكبُوا في الفُلكِ دَعَوُا الله مخُلِصين لهُ الدِّين فلمَّا نجَّاهم إلَى البرِّ إذَا هُم يُشركُون﴾ (٥) فمن دعا غيره تعالى لم يكن مخلصاً، وقال تعالى: ﴿قلْ مَن بيَدهِ ملَكُوت كُلّ شَيءٍ وهُو يُجير ولا يُجارُ عليهِ إنْ كُنتُم تعلمون * سيقولون لله﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿واتْلُ عَليْهم نَبأ إبْراهِيمَ * إذْ قال لأبيهِ وقَوْمه ما تَعبدُون * قالُوا: نَعبدُ أصْناماً فَنظلُّ لها عاكِفِين * قالَ

(١) سورة الحجر الآية ٣٦.
(٢) سورة الحجر الآية ٣٩.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٨٤.
(٤) سورة العنكبوت الآية ٨١.
(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٥.
(٦) سورة المؤمنون الآية ٨٨.

هَلْ يسمعونكم إذْ تَدْعُون * أوْ ينْفَعونكُم أوْ يَضرُّون * قالُوا بَلْ وجَدْنا آباءنَا كذٰلك يَفْعلون)[1] والآيات فى هذا الباب كثيرة جداً.

وروى الإمام أحمد فى مسنده والترمذى من حديث حصين بن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا حصين كم تعبد؟ قال: ستة فى الأرض وواحداً فى السماء قال: فمن ذا الذى تعد لرغبتك؟ قال: الذى فى السماء. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أسلمْ حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن» فأسلم، فقال قل: «اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى»، فجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بها لم تنفعهم ولم تدخلهم فى الإسلام مع جعلهم مع الله آلهة أخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده، فبذلك كانوا مشركين فى عبادته ومعاملته. ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم: لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، و«الدعاء مخ العبادة» كما أن الإلٰه اسم المعبود. وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدعاء هو العبادة ــ وفى رواية ــ مخ العبادة»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم **(وقال**

(١) سورة الشعراء آيات ٦٩ ــ ٧٤

ربكم ادعونى أستجب لكم) (١) الآية، رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح، رووراه أيضاً النسائى وابن ماجه والحاكم والإمام أحمد وابن شيبة بهذا اللفظ، وهذه الصيغة تفيد قصر الدعاء على العبادة فلا يخرج عنها، لأنها من الصفات اللازمة التى ليس لها مفهوم يخالف الظاهر كقوله تعالى: (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) (٢) إذ كل مدعو فهو إله قصد الداعى أن مدعوه إلهاً أم لا، اتخذه المشركون الأولون أم لا، وليس ثم دعاء إله آخر له برهان.

الشرك باتخاذ الأولياء والشفعاء

وقد وصف الله سبحانه وتعالى دين المشركين بقوله، (والذين اتخذوا من دونه أولياء) (٣): الآية، فبين فى هذه الآية أنما قصدهم الشفاعة، وفى صحيح البخارى ومسلم، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل مع الله نداً وهو خلقك» قال: قلت ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال: قلت ثم

(١) سورة غافر الآية ٦٠. (٢) سورة المؤمنون الآية ١١٧.

(٣) سورة الزمر الآية ٣.

أي ؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك» فأنزل الله تصديقها : (**والذينَ لا يدعُون مَع الله إلَهاً آخرَ ولا يقتلُونَ النَّفس التى حَرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ولا يزنُون**)(١) الآية ، فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن أعظم الذنب الشرك بالله الذى هو جعل الأنداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم إليه . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم (٢) ، فدين الله وسط بين الغالى والجافى عنه» .

الشرك الأصغر والأكبر

والشرك : شركان ، أكبر: وله أنواع ومنه الذى تقدم

(١) سورة الفرقان الآية ٦٨ .

(٢) الذى فى صحيح مسلم : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» ، قال النووى فى شرحه : إن الثلاثة المرضية ، إحداها : أن يعبدوه ، الثانية : أن لا يشركوا به شيئاً ، الثالثة أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا . أ هـ ، وأورد الحديث السيوطى فى الجامع الصغير وذكر الثلاثة المرضية بلفظ المؤلف ، فيكون قوله صلى الله عليه وسلم : «أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً» هو الأولى ، والثالثة : «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» وعزاه إلى الإمام أحمد ومسلم ، فالمؤلف اختار لفظ الإمام أحمد ، وفاته عزو الحديث إليه أو سقط من الناسخ .

بيانه آنفاً، وشرك أصغر: كالرياء والسمعة، كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك» أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وصححه ابن حبان وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» أخرجه الشيخان، وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال له رجل ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتنى لله ندًّا؟ قل ما شاء الله وحده» والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه ومن كل ذنب.

التوسل الصحيح

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم فى قوله: ﴿**رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادياً يُنادِي**

للإيمانِ...) (١) وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم وهم ثلاثة نفر وتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة ــ الحديث في صحيح البخاري ــ لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، وكسؤال الله بأسمائه الحسنى قال تعالى: **(ولله الأسْماءُ الحسْنَى فادْعوهُ بِها)** (٢) وكالأدعية المأثورة في السنن: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام» وأمثال ذلك، وهذا معنى قوله تعالى: **(يا أيُّها الذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وابتغُوا إليه الوَسِيلَة)** (٣) لأنها القرب التي يتقرب بها إلى الله وتقرب فاعلها منه، وهي الأعمال الصالحة، لما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، ومازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» الحديث، ولهذا كان

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٣.   (٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠.
(٣) سورة المائدة الآية ٣٥.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أهمه أمر فزع إلى الصلاة فإنها أعظم القرب إلى الله تعالى، قال الله تعالى: (**واسْتَعِينُوا بالصَّبرُ والصَّلاةِ**)(1) وليست الوسيلة بمخلوق يبتغى ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه، يشفع لهم ويتقربون إليه، لأن هذا عين ما نهى الله عنه فى الآيات، وأنزل بقبحه الكتب، وأرسل الرسل، وهو ما قالت بنو إسرائيل لموسى: (**اجْعَل لَنا إلهاً كَما لَهُم آلهةٌ**)(2)، لأن قصدهم أن يتقربوا به.

الإقسام على الله بالمخلوقين

وأما الإقسام على الله بمخلوق، فهو منهى عنه باتفا العلماء، وهل هو منهى عنه نهى تنزية أو تحريم؟ على قولين، أصحهما: أنه كراهة تحريم، واختاره العز بن عبد السلام فى فتاويه، قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة رحمهما الله: لا ينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن تقول: بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك وهو قول لأبى يوسف، قال أبو يوسف: بمعاقد العز من عرشك هو الله، فلا أكره هذا، وأكره بحقّ فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام، قال القدورى رحمه الله: المسألة

(1) سورة البقرة الآية ٤٥.
(2) سورة الأعراف الآية ١٣٨.

بحق المخلوق لا تجوز لهذا فلا يقول: أسألك بفلان وبملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، انتهى — وأما قوله: «وبحق السائلين عليك» ففيه عطية العوفى (١) وفيه ضعف، ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن (٢) حقه تعالى عليهم طاعته، وحقهم عليه الثواب والإجابة، وهو تعالى وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، وإذا والى العبد ربه وحده أقام الله له وليًّا من الشفعاء، وهى الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه فى الله بخلاف من اتخذ مخلوقاً من دون الله أو معه، فهذا نوع، وذاك نوع آخر، كما أن الشفاعة الشركية الباطلة نوع، وشفاعة الحق الثابتة التى إنما تنال بالتوحيد نوع آخر.

حديث الأعمى بالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم

ومما استدل علينا الخصم، ويزعم أن الدعوة غير الله وسيلة قوله: «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد

(١) قوله ففيه إلخ: أى فى الحديث الذى وردت فيه هذه الجملة من تلقين النبى صلى الله عليه وسلم، والمتبادر من معناها أنها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين أن يستجيب دعاءهم بمثل قوله: (**ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ**)، وليست توسلاً بأشخاص السائلين وهم جماهير البشر من جميع الملل والنحل.

(٢) أى ومع تقدير صحة الحديث فمعناه صحة السؤال بأعمالهم، والظاهر المتبادر ما قلناه وهو قوله: وحقهم عليه الثواب والإجابة.

صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى، اللهم شفعه فىّ» رواه الترمذى والحاكم وابن ماجه عن عمران بن حصين، فجوابه من وجوه:

الأول: أنه فى غير محل النزاع، إذ هو ليس سؤال النبى صلى الله عليه وسلم نفسه، وإنما هو سؤال الله وحده أن يشفع فيه نبيه، وعمل الخصم الاختراعى منكر، ورواية الحديث بحرمته، فأين هذا من عمارة القبور، وإلقاء الستور عليها وتسريجها؟ وهذه كلها كبائر، كما قال أهل العلم، حتى ابن حجر الهيثمى وغيره: أن حدها(1) كل ما أتبع بلعنة أو غضب أو نار، والأحاديث فى تحريم عمارة القبور كثيرة فى الصحيحين وغيرهما، ويضاف إلى عمارتها دعاء أصحابها ورجاؤهم، والالتجاء إليهم، والنذر لهم، وكتب الرقاع لها، وخطابهم يا سيدى يا مولاى أفعل كذا وكذا، وبهذا عبدت اللات والعزى، والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم. ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر ونهى، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه الناس اليوم ــ رأى أحدهما مضادًّا للآخر، مناقضاً له، وإذا كان سبب قول الله عز وجل: **(فلا**

(1) أى الكبيرة.

تَجْعلُوا اللهِ أنْداداً وأنْتُم تَعلمُون) (١) : مجيء حبر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وقوله : نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أنداداً فتقولون : ما شاء الله وشاء فلان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« أما إنه قد قال حقاً » وأنزل الله :(**فلا تَجْعلوا لله أنْداداً وأنتُم تعْلَمون**) وممن أخرج الحديث جلال الدين السيوطى فى الدر المنثور فى تفسيره (٢) هؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله ، وإن زعم أنه لا يحبه كحبه ، فشواهد الحال تشهد عليه بذلك فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ، ويحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعتقده . فلا جامع بين ما استدلوا به علينا وبين ما نهيناهم عنه .

الثانى : أن الحديث دليل لنا أنه لا يدعى غير الله عز وجل ، فإن مسألة « اللهم إنى أتوجه إليك » فسأل الله عز وجل أن يشفعه فيه واسطة (؟) « يا حبيبنا يا محمد إنا نتوسل بك إلى ربك فاشفع لنا » (؟) فهذا خطاب لحاضر، كقولنا فى صلاتنا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وكاستحضار الإنسان محبه أو مبغضه فى قلبه فيخاطبه بما يهواه لسانه ، ومعناه : أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته التى

(١) سورة البقرة الآية ٢٢ .

(٢) لعل الأصل : فى تفسيره لهذه الآية ، وهو قد ذكره بالمعنى .

معناها فى هذه الدار الدعاء، ولهذا قال فى تمام الحديث «اللهم شفعه فى» أى استجب دعاءه، وهذا متفق على جوازه، إذ الحى يطلب منه سائر ما يقدر عليه. وأما الغائب والميت فلا يستغاث به، ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه، قال تعالى: (**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ**)(١) إنما غايته طلب الدعاء من الحى، وقبول شفاعته عند الله عز وجل، وهو التوقيت والاتباع. ولو كان هذا من العبادات لسنه الرسول، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع، ولهذا لم يفعله صلى الله عليه وسلم انتقل من هذه الدار إلى دار القرار بنص الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، ولهذا استسقى أصحابه، بعمه العباس بن عبد المطلب، وأن يدعولهم فى الاستسقاء عام القحط، أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده مع أنه صلى الله عليه وسلم حياته فى قبره برزخية. والدعاء عبادة مبناها على أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم، وكثرة مدلهماتهم، وهو أعلم بمعانى كتاب الله وسنة رسوله، وأحرص اتباعا لملته من غيرهم، بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده، وهم من خير القرون التى قد نص عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله: «خيركم

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٥.

قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدرى أذكر ثنتين أو ثلاثا بعد قرنه، أخرجه البخارى في صحيحه.

الثالث: أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله بغير محمد صلى الله عليه وسلم، وخرجوا عن محل النزاع إلى شيء آخر، وهو التوسل بغير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا دليل فيه أصلا، لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق. فلا يجوز لنا أن نقول: اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح، يا رسول الله يا نوح، ولا لنا أن نقول: إنا نسألك ونتوجه إليك بخليلك إبراهيم، ولا بكليمك موسى، ولا بروحك عيسى، مع أن الجامع فى نوح عليه السلام الرسالة، وفى إبراهيم عليه السلام الخلة مع الرسالة، وفى موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة، وفى عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة، فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد، ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد. والقياس إنما يباح عند من يقول به للحاجة فى حكم لا يوجد فيه نص، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به، ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك، خصوصاً مع ما ورد فيه، وأنه فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، وأن هذه الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة،

فالناجية من اتبع ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

الرابع : أن الوسيلة ليست هى أن ينادى العبد غير الله ، ويطلب حاجته التى لا يقدر على وجودها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا ولا موتاً ، ولا حياة ولا نشوراً ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ؛ كذلك من سرق التابوت والمعلق عليه من بيض النعام أو غيره .

حديث نداء من انفلتت دابته يحبسها من سمعه

ادعاء الإجماع على بدع القبوريين
التوسل إلى الله بشيء من مخلوقاته

ومما استدل به علينا فى جواز دعوة غير الله فى المهمات قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه ابن مسعود : « إذا انفلتت دابة أحدكم فى أرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوها » ، وفى رواية « إذا أعيت فليناد ياعباد اله أعينوا » ، وهذا من جملة الجهل والضلال ، وإخراج المعانى عن مقاصدها من وجوه :

الأول : أن هذه ليست بوسيلة أصلا ؛ إذ معنى الوسيلة ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل وهذا ليس بقربة .

الثانى : أن الحديثين غير صحيحين، أما الأول فرواه الطبرانى فى الكبير بسند منقطع عن عقبة رضى الله عنه، وحديث انفلات الدابة عزاه النووى رحمه الله لابن السنى، وفى إسناده معروف بن حسان قال ابن عدى: هو منكر الحديث، ولا دليل فى هذين الحديثين مع ضعفهما ولا فى الحديث المتقدم قبلهما على دعاء أصحاب القبور كعبد القادر الجيلانى من قطر شاسع، بل ولا من عند قبره، ولا ينادى غيره لا الأنبياء، ولا الأولياء، إنما غايته أن الله عز وجل جعل من عباده من لا يعلمهم إلا هو سبحانه (١) **(وما يَعْلَمُ جُنُود ربك إلاَّ هُو)** (٢): وإذا نادى شخصاً باسمه معيناً فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى من لا يؤمر بندائه، وليس معنى الحديث فى كل حركة وسكون وقيام وقعود، وإنما أبيح له ذلك إن أراد عوناً على حمل متاعه أو انفلتت دابته، وهذا مع تقدير صحة الحديث.

---

(١) كذا والمتبادر أن النداء لمن عساه يوجد من الناس فى الفلاة ولم يره وهو معتاد.

(٢) سورة المدثر الآية ٣١.

الثالث : أن الله تعالى قال : ﴿ **اليومَ أكْلمتُ لَكُم دِينَكُم وأتْمَمْتُ عليْكُم نِعمتى ورَضِيتُ لَكُم الإسْلامَ دِيناً** ﴾ (١) : بعد أن أكمله بفضله ورحمته ، فلا يحل أن نخترع فيه ما ليس منه ، ونقيس ما لا يقاس عليه .

الرابع : أن الحديث الصحيح إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به ، فإنهم قالوا : إن الحديث الصحيح الذى يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة ، فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بما لا يدل عليه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام ؟ فهذا هو البهتان .

الخامس : أنهم زعموا موافقتهم بذكر من يعتقدونه ونسوا الأفعال إليهم وكل أحد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان وأنه أنجده ، وكشف شدته ، فإذا قال أحد سبحان الذى بيده ملكوت كل شىء ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، قاموا عليه وخرجوه وبدعوه ، قالوا : معلوم أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فإذا قال : نعم ، ولكن ليس لأحد منهم ملكوت خردلة والله يقول : ﴿ **ذلِكُم اللهُ ربُّكم لَهُ المُلْكُ والذِينَ تدْعُونَ مِنْ دُونِه ما يملِكُون مِنْ قِطْميرٍ* إنْ تَدْعُوهم لا يَسْمعُوا دُعاءكُم ولو سَمعُوا ما اسْتَجابُوا**

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

لَكُم وَيوم القِيامَة يكْفُرونَ بِشرْكِكُم)(1) فإن منهم من يدعى العلم والإنصاف وهو واسع الصدر، يقول هذه الآية نزلت فى عبادة الأصنام. فإذا قيل له: الأصنام ود وسواع ويغوث ويعوق أسماء رجال صالحين، وهذه الخرق على التوابيت ودعوة الأموات هى فعل عباد الأصنام، وقرر أهل العلم أن العام لا يقصر على السبب مثلا أن نستحل أن لا نؤدى الأمانة، فإذا قيل: إن أدوا الأمانة فإن الله يقول: (إنَّ الله يَأمُرُكُم أنْ تُؤدُّوا الأمانَاتِ إلى أهْلِها)(2) فلا يقال هذه نزلت فى مفتاح باب الكعبة فلا يحتج بها عامة. كذلك لا يقال هذه نزلت فى عباد الأصنام، ونفعل فعلهم ونقول: لسنا مشركين. وفى الأحاديث القدسية عن خير البرية صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: «أنا والجن والإنس فى نبأ عظيم: أخلق ويعبد غيرى، وأرزق ويشكر غيرى» أخرجه الحاكم والترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى الدرداء رضى الله عنه ـ أجاب بأن الأمة مطبقة على هذا، والأمة لا تجتمع على ضلالة، فيلزمه تضليل الأمة وتسفيه الآباء، وجوابه: أما أن الأمة مطبقة على هذا فكذب عليها، هذه كتب الحديث والتفسير فيها لا يجوز أن يدعى غير الله عز وجل بما لا يقدر عليه إلا هو تعالى

---

(1) سورة فاطر آيتا ١٣، ١٤.   (2) سورة النساء الآية ٥٨.

ولا يباح، بل الآيات البينات والأحاديث، وأقوال العلماء، ترشد أن هذا شرك محقق، والله تعالى يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ ربُّكُم عليْكُم ألاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**)(١)، ويقول: (**وقضى ربُّك ألاَّ تَعبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ**)(٢)، والأحاديث ونصوص العلماء لا تخلف الكتاب.

السادس: أنه قد اختلفوا فى التوسل إليه بشىء من مخلوقاته تعالى وتقدس هل هو مكروه أو حرام، والأشهر الحرمة كما قال به أبو محمد العز بن عبد السلام فى فتاويه أنه لا يجوز التوسل إليه بشىء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم، وتوقف فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هل فيه الحرمة أو الكراهة، وتقدم قول أبى حنيفة وأصحابه رحمهم الله.

السابع: أنهم يشترون أولادهم ممن يعتقدونه، ويجعلون زوايا لمن يعتقدونه، ويجعلون فيها الطبول والبيارق والمزاهر ومطارق الحديد يضربون بها أنفسهم، وفيها جماعة ينسبون إلى ذلك المعتقد: كالعلوانية، والقادرية، والرفاعية، وهى أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ويعبدون أنفسهم لهم، كعبد

(١) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٣.

فلان وفلان والله قد سلمانا المسلمين. قال الله تعالى: (**هُو سَمَّاكم المسْلِمينَ مِنْ قَبْل**)[1] فى الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل (وفى هٰذا) القرآن، فاستبدلوا الذى أدنى بالذى هو خير. وإذا مرض هذا المشترى من المعتقد نذر أهله له النذور، ولم يزل يستغيث بأن يشقى سقمه، ويكف شدته، وهذا الأمر سرى فى العلماء والجهال، وفى مكة أكثر وقد غلبت عليهم العوائد، وسلبت عقولهم عن تفهم المراد والمقاصد، من الكتاب والسنة، وكلام الأئمة، لم يجدوا هذا فى كتاب فروع أحد منهم، ولا أصوله، صانهم الله عن هذه الوصمة، فما استدلوا به مما تقدم لا يكون دليلا على التوسل بالأموات المعلوم حالهم أنهم فى أعلى الجنان، فكيف غيرهم ممن لا يعلم حالة فى الآخرة، ولا يدرى أين مآله، كيف يكون دليلا على دعوة غير الله فى المهمات، ويقال الوسيلة ويستدل لها بهذا (**سُبْحانَك هٰذا بهتانٌ عظيم**)[2] وتحريف للكلم عن مواضعه.

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

(٢) سورة النور الآية ١٦.

معاداة القبوريين لمن ينكر بدعهم

أحاديث الأمر بتسوية القبور

فبهذا يتبين أن الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبوراً يعظمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله، ثم يوحى إلى أوليائه أن من نهى عن عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها والحالة هذه أوثاناً فقد انتقصها وغمصها حقها، فيسعى الجاهلون المشركون فى قتالهم وعقوبتهم، وما ذنبهم عند هؤلاء المشركين إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد، ونهوهم عن الشرك بأنواعه، وقالوا بتبطيله، فعند ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون. وقالوا: قد انتقصوا أهل المقامات والرتب، فاستحقوا الويل والتعب، وفى زعمهم أنهم لا حرمة لهم للدنيا ولا قدر، حتى سرى ذلك فى نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حباً للأولياء أتباع المرسلين، وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم، ونسبوا كل قبيح إلينا، ونفروا الناس عنا وعما ندعو إليه، ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله وكتابه، ويأبى الله ذلك، فما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون، الموافقون له، العارفون به، وبما جاء به، والعاملون به،

والداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، اللابسون ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسننه ويبغونها عوجاً وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً باتباعه واحترامه والعمل به، وتعظيم الأنبياء والأولياء واحترامهم متابعتهم لهم فيما يحبونه، وتجنب ما هم يكرهونه، وهم أعصى الناس لهم، وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم. كالنصارى مع المسيح، وكاليهود مع موسى، والرافضة مع عليّ. وأهل التوحيد أين كانوا أولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقتهم وسنتهم وهديهم ومنهاجهم، وأولى بالحق قولا وعملا من أهل الباطن. فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. والمنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات بعضهم أولياء بعض. ومن أصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه أغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وينبت النفاق فى القلب، وكذلك من أصغى إليه وإلى حديث الرسول بكليته وحدث نفسه بهما وعمل باقتباس الهدى والعلم منهما لا من غيرهما أغنياه[1] من البدع والشرك والآراء والتخرصات والشطحات والخيالات التى هى وساوس الشيطان والنفوس، وتخيلات الهوى والبؤس، وتعود ذلك[2] فلا بد أن يتعوض ما لا ينفعه بل

(١) فى الأصل: من غيره أغناه وهو تحريف ظاهر.

(٢) لعل الأصل: ومن تعود ذلك.

مضرة عليه (١) كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه (٢) وأغناه أيضاً عن عشق الصور، وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه، أى شىء استحسنه ملكه واستعبده، فالمعرض عن التوحيد عابد للشيطان مشرك شاء أم أبى، كما فى صحيح مسلم عن أبى الهياج الأسدى واسمه حيان بن حصين قال: قال لى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته. وفى الصحيح أيضاً عن عثامة بن شقى الهمدانى قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون، قال الشافعى فى (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنون على القبور. ويؤيد الهدم قوله: «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»، وحديث جابر الذى فى صحيح مسلم: نهى صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور، ولأنها أسست على معصية الرسول لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها. فبناء أسس

(١) لعل الأصل: بل ما هو مضرة، وكان الأولى أن يقال: بل ما يضره.

(٢) يظهر أنه سقط من هنا شىء عطف عليه ما بعده.

على معصيته ومخالفته صلى الله عليه وسلم بناء غير محترم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً، وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً، إذ إزالة المفسدة أعظم حماية للتوحيد، والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على أفضل الخلق أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

— ٢ —

رسَالة

للشيخ الإمام عَبد الله ابن شيخ الإسلام محَمد بن عَبد الوهاب

في حقيقة دعوة والده السلفية

كتبها بعد دخول معشر الموحدين مكة المشرفة مع الإمام سعود رحمه الله سنة ١٢١٨ ألف ومائتين وثمانى عشرة، جواباً لمن سأله عما يعتقدونه ويدينون الله به. فأجاب رحمه الله بما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، وهو الذى نعتقده وندين الله به لكى يعلم إخواننا الموحدون ما نحن عليه وأئمتنا ومشيختنا، وأنّا على ما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتنا فى الأصول والفروع، وليعلموا أن ما افتراه علينا أعداء الله ورسله هو الخزى الفاضح، والإفك الواضح، الذى لا يحكيه، وينميه عن أهل الإسلام من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أنه موقوف بين يدى الله يوم القيامة ومسئول عن ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد؛ فإنا معاشرغزوالموحدين لما مَنّ الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود ـ حماه الله ـ الأمان وقد كانوا تواطئوا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة فى الحرم ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب فى قلوبهم فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الإياب غنيمة، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا، شعارنا التلبية آمنين، محلقين رءوسنا ومقصرين، غير خائفين من أحد من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين. ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون، لم يعضدوا به شجراً، ولم ينفروا صيداً، ولم يريقوا دماً، إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع.

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم

عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، وعرّفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا فى أمرين: أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة، وأن الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذى قاتل الناس عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثانى: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا ذلك الأمير على الكتاب والسنة، وقبل منهم وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة.

قبول علماء مكة للدعوة السلفية

ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لاسيا العلماء ويقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم قائلا: لدينا أدلة ما نحن عليه، ويطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق. وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بأنا قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح، كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله صلى

الله عليه وسلم: «فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى»، وعن الأئمة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث لقوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وعرّفناهم أنا دائرون مع الحق أينما دار، وتابعون للدليل الجلى الواضح ولا نبالى حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا. فلم ينقموا علينا أمراً، فألححنا عليهم فى مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقى لديهم شبهة؛ فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى صدقوا، ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه، أنه الحق الجلى الذى لا غبار عليه. وحلفوا لنا الأيمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك فيمن قال: يا رسول الله، أوقال يا ابن عباس، أو يا عبد القادر، أوغيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أوجلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك أنه مشرك الشرك الأكبر الذى يهدر دمه، ويبيح ماله. وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر فى تصريف الكون هو الله وحده، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعاً بهم، ومتقرباً لهم لقضاء حاجته من

الله يسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت فى هذه الأزمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها أو يهتف بأهلها فى الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى .

وكان من جملتهم مفتى الحنفية الشيخ عبد الملك القليعى ، وحسين المغربى مفتى المالكية ، وعقيل بن يحيى العلوى ، فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد للتعظيم والاعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضر بسببه ، من جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق فى البقعة المطهرة طاغوت يعبد ، فالحمد لله على ذلك .

الأعمال الإصلاحية لحماة الدعوة السلفية بمكة

ثم رفعت المكوس والرسوم ، وكسرت آلات التنباك ، ونودى بتحريمه ، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودى بالمواظبة على الصلاة فى الجماعات وعدم التفرق فى ذلك ، بأن يجتمعوا فى كل صلاة على إمام واحد يكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم . واجتمعت الكلمة حينئذ ، وعبد الله وحده ، وحصلت الألفة ، وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم ، واستتب الأمر من

دون سفك دم، ولا هتك عرض، ولا مشقة على أحد. والحمد لله رب العالمين.

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد رحمه الله فى التوحيد، المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة، مما يثلج الصدور. واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر فى مجالسهم وتدرس فى محافلهم، ويبين لهم العلماء معانيها، ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم بضيرة آمنين.

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسين بن محمد بن الحسين الأبريقى الحضرمى ثم اللحيانى، ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة، ويسأل عن مسألة الشفاعة التى جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له.

المذهب الحقيقى للدعوة فى الأصول والفروع

فأخبرناه بأن مذهبنا فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف التى هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم، خلافاً لمن قال: طريقة الخلف أعلم،

وهى إنا نقرأ آيات الصافات وأحاديثها على ظاهرها، ونكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها، فإن مالكا، وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعالى: (الرَّحمنُ عَلى العَرْش اسْتَوى) ([1]) قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى، ولا يكون فى ملكه إلا ما أراد، فإن العبد لا يقدر على خلق أفعاله، بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا، والعقاب عدلا، لا يجب على الله لعبده شىء، وأنه يراه المؤمنون فى الآخرة بلا كيف ولا إحاطة.

ونحن أيضاً فى الفروع على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ([2]) ونحوهم لا نقرهم ظاهراً على شىء من

---

(١) سورة طه الآية ٥.

(٢) إن كلمة الرافضة التى وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلى الإمامية، والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية فى الفقه ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون وكذلك الإمامية، وأن الفرق بينه وبين فقه الأربعة قليل قلما قال أحد مجتهديه قولا انفرد به وخالف الإجماع قبله، وكيف وهم يحتجون بالإجماع وبعمل السلف؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة، وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ

مذاهبهم الفاسدة (١) بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة.

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها، إلا أنا فى بعض المسائل إذ صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والإخوة، فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة.

ولا نفتش على أحد فى مذهبه ولا نعترض عليه إلا إذا اطلعنا على نص جلى مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة، فنأمر الحنفى والمالكى مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة فى الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك، بخلاف

= نجد إن سبب حصر التقليد فى فقه الأربعة دون سائر مجتهدى الأمة هو تدوين مذاهبهم دون غيرها. وهذا غلط سببه عدم الاطلاع.

(١) أى لا نقر بصفتنا حكام البلاد أصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهروا شيئاً من مذاهبهم الفاسدة بالإجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معانى غير الظاهر الذى عليه العمل، وبوجود إمام معصوم فى كل عصر يجب اتباعه فى كل ما يقول، وكسب غلاة الرافضة للشيخين رضى الله عنهما، وبراءة الخوارج من الصهرين رضى الله عنهم، ومقابل قوله ظاهراً أنهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل.

جهر الإمام الشافعى بالبسملة فلا نأمره بالإسرار. وشتان ما بين المسألتين، فإذا قوى الدليل أرشدناهم بالنص وإن خالف المذهب وذلك يكون نادراً جدًّا.

ولا مانع من الاجتهاد فى بعض المسائل دون بعض، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم فى بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه.

المذاهب وكتب التفسير والحديث لدى أصحاب الدعوة

ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلّها لدينا تفسير ابن جرير، ومختصره لابن كثير الشافعى، وكذلك البغوى والبيضاوى والخازن والحداد والجلالين وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين كالعسقلانى والقسطلانى على البخارى والنووى على مسلم والمناوى على الجامع الصغير، ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها، ونعتنى بسائر الكتب فى سائر الفنون أصولا وفروعاً، وقواعد وسيراً ونحواً وصرفاً وجميع علوم الأمة، ولا نأمر بإتلاف شىء من المؤلفات أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس فى الشرك كروض

الرياحين، وما يحصل بسببه خلل فى العقائد كعلم المنطق فإنه قد حرمه جمع من العلماء (١) على أنا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل (٢) إلا إن تظاهر به صاحبه معانداً أتلف عليه، وما اتفق لبعض البدو من إتلاف بعض كتب أهل الطائف إنما صدر بعض الجهلة وقد زجر هو وغيرهم عن مثل ذلك.

ومما نحن عليه إلا أن نرى سبى العرب ولم نفعله نقاتل غيرهم. ولا نرى قتل النساء والصبيان.

المفتريات القديمة على رجال الدعوة

وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا، من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم بقولنا: النبى رمة فى قبره، وعصاة أحدنا أنفع له منه، وليس شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى نزل عليه **(فاعلم أنه لا إله إلا الله)** مع كون الآية

(١) إنما حرموا بعض كتب المنطق القديمة الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما ألفه المسلمون ولم يمزجوه بذلك.

(٢) أى لاشتمالها على صيغ مبتدعة وباطلة المعنى.

مدنية ، وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فتتلف مؤلفات أهل المذاهب لكونها فيها الحق والباطل ، وأنا مجسمة ، وأنا نكفر الناس على الإطلاق : أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركاً ، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله ، وأنا ننهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً ، وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ، وإنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم ، وأنا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ، وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شاباً إذا ترافعوا إلينا .

فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا وكان جوابنا فى كل مسألة من ذلك (**سبحانك هذا بهتان عظيم**) فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى ، ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فإنا نعتقد أن من فعل أنواعاً من الكبائر كقتل المسلم بغير حق ، والزنا ،

والربا، وشرب الخمر، وتكرر منه ذلك أنه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد به فى دار الانتقام، إذا مات موحداً بجميع أنواع العبادة.

والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين، وكفى همه وغمه كما جاء فى الحديث عنه.

ولا ننكر كرامات الأولياء ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم، مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات لا حال الحياة، ولا بعد الممات، بل يطلب من أحدهم الدعاء فى حال حياته، بل ومن كل مسلم، فقد جاء فى الحديث: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه» الحديث، وأمر صلى الله عليه وسلم وعمر وعليًّا بسؤال الاستغفار من أويس ففعلا.

الشفاعة والحلف بغير الله والتوسل له

ونثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسب ما ورد، وكذا نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ما ورد أيضاً، ونسألها من المالك والإذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، بأن يقول أحدنا متضرعاً إلى الله تعالى: اللهم شفع نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة، أو اللهم اشفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم، فلا يقال: يا رسول الله، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها، كأدركني، أو أغثني، أو اشفني، أو انصرني على عدوّي، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

فإذا طلبت ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك إذا لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح على ذلك، بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أن ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن قلت: ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به؟ قلت: ننظر إلى حال المقسم إن قصد به التعظيم كتعظيم الله أو أشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا

إذا استحلفه بشيخه : أى معبوده الذى يعتمد فى جميع أموره عليه لا يرضى أن يحلف إذا كان كاذباً أو شاكًا ، وإذا استحلف بالله فقط رضى ــ فهو كافر من أقبح المشركين وأجهلهم إجماعاً. وإن لم يقصد التعظيم بل سبق لسانه إليه ، فهذا ليس بشرك أكبر، فينهى عنه ويزجر، ويؤمر صاحبه بالاستغفار من تلك الهفوة.

وأما التوسل وهو أن يقول القائل: اللهم إنى أتوسل إليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أو بحق نبيك ، أو بجاه عبادك الصالحين، أوبحق عبدك فلان ، فهذا من أقسام البدعة المذمومة ، ولم يرد بذلك نص، كرفع الصوت بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عند الأذان.

تكريم أهل البيت والتزاوج معهم

وأما أهل البيت فقد ورد سؤال على الدرعية فى مثل ذلك وعن جواز نكاح الفاطمية غير الفاطمى ، وكان الجواب عليه ما نصه : أهل البيت رضوان الله عليهم لا شك فى طلب حبهم ومودتهم ، لما ورد فيه من كتاب وسنة ، فيجب حبهم ومودتهم ، إلا أن الإسلام ساوى بين الخلق فلا فضل لأحد إلا بالتقوى ، ولهم مع ذلك التوقير والتكريم والإجلال ، ولسائر العلماء مثل ذلك ، كالجلوس فى صدر المجالس ، والبداية بهم فى التكريم ، والتقديم فى الطريق إلى موضع التكريم ، ونحو ذلك إذا تقارب أحدهم مع غيره فى

السن أو العلم. وما اعتيد في بعض البلاد من تقديم صغيرهم وجاهلهم على من هو أمثل منه، حتى إنه إذا لم يقل يده كلما صافحه، عاتبه وصارمه، أو ضاربه أو خاصمه، فهذا مما لم يرد به نص، ولا دل عليه دليل، بل منكر تجب إزالته، ولو قبل يد أحدهم لقدوم من سفر، أو لمشيخة علم، أو في بعض أوقات، أو لطول غيبة فلا بأس به، إلا أنه لما ألف في الجاهلية الأخرى أن التقبيل صار علماً لمن يعتقد فيه، أو في أسلافه، أو عادة المتكبرين من غيرهم، نهينا عنه مطلقاً، لاسيما لمن ذكر حسما لذرائع الشرك ما أمكن.

وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة، وقبة المولد، وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء، حسما لتلك المادة، وتنفيراً عن الإشراك بالله ما أمكن، لعظم شأنه فإنه لا يغفر(١)،

(١) ذكر الإمام الشافعي في الأم أن ولاة مكة كانوا يهدمون ما بني في مقبرتها من القبور ولا يعترض عليهم الفقهاء، ونقله عنه النووي في شرح مسلم عند شرح ما ورد في هذا المعنى من الأحاديث، وفي الزواجر لابن حجر الهيثمي أن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها والصلاة إليها، كلها من كبائر المعاصي (راجع الكبيرة ٩٣ ـــ ٩٨). وبعد أن أورد بعض الأحاديث الصحيحة في ذلك كلام الفقهاء الشافعية والحنابلة، ومنه أنها من أسباب الشرك، وآخره قولهم: وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه نهى عن ذلك، وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه. انتهى «ص١٦٣ من الجزء الأول ـــ طبع المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٢».

وهو أقبح من نسبة الولد لله تعالى، إذ الولد كمال فى حق المخلوق، وأما الشرك فنقص حتى فى حق المخلوق، لقوله تعالى: ﴿ضَربَ لَكُم مَثلاً مِنْ أنفُسكم هلْ لَكُم ممَّا مَلكَت أيمانُكُم مِنْ شُرَكاء فِيما رزَقْناكُم﴾ (١) الآية.

وأما نكاح الفاطمية غير الفاطمى فجائز إجماعاً، بل ولا كراهة فى ذلك، وقد زوج علىّ عمر بن الخطاب وكفى بهما قدوة، وتزوجت سكينة بنت الحسين بن على بأربعة ليس فيهم فاطمى، بل ولا هاشمى، ولم يزل عمل السلف على ذلك من دون إنكار. إلا أنا لا نجبر أحداً على تزويج موليته ما لم تطلب هى، ويمتنع من غير الكفء، والعرب أكفاء بعضهم لبعض، فما اعتيد فى بعض البلاد من المنع دليل التكبير وطلب التعظيم، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير، كما ورد (٢)، بل يجوز الإنكاح لغير الكفء، وقد تزوج زيد وهو من الموالى زينب أم المؤمنين (٣) وهى قريشية، والمسألة معروفة النقول عند أهل المذهب. انتهى (٤).

---

(١) سورة الروم الآية ٢٨.

(٢) أشار إلى حديث: «إذا جاءكم من ترضون دينه أو خلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»، وفى رواية «إذا خطب إليكم» وفيها: فزوّجوه بدل فأنكحوه، وعريض بدل كبير، رواهما الترمذى وغيره.

(٣) أى قبل أن صارت أم المؤمنين كما هو معلوم.

(٤) أى انتهى به فى الدرعية وهى بلد الشيخ محمد بن عبدالوهاب والد المؤلف ومركز تلك النهضة، وهل الفتوى لوالده فى زمنه أم كان هنالك مفت خاص بعد الشيخ أو جماعة؟ الله أعلم.

عذر الجهل والخطأ فى شبهة الشرك

فإن الله قائل منفر عن قبول الحق والإدغان له: يلزم من تقريركم وقطعكم فى أن من قال: يا رسول الله أسألك الشفاعة ـ أنه مشرك مهدر الدم ـ أن يقال بكفر غالب الأمة ولاسيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعتبرين أن ذلك مندوب وشنوا الغارة على من خالف فى ذلك.

قلت: لا يلزم ذلك(١)، لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن تكون مجسمة، وإن قلنا بجهة العلو، كما ورد الحديث بذلك

الجهل المانع من التفكير

ونحن نقول فيمن مات (**تِلْكَ أمة قَدْ خَلَتْ**)(٢)، ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق، ووضحت له المحجة، وقامت عليه الحجة، وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم، يصرون على ذلك الإشراك، ويمتنعون من فعل الواجبات، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات.

---

(١) هذا الجواب الصريح فى عدم تكفير المستشفع الجاهل المعذور والمتأول، كالذى لا يقصد بالنداء دعاء العبادة ولا يعتقد استقلال الرسول صلى الله عليه وسلم بالتأثير والشفاعة، وإنما يكفرون من أصر على دعاء غير الله فيما لا يطلب إلا منه عناداً.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٤.

وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله، ورضاه به، ولتكثير سواد من ذكر، والتغليب معه، فله حينئذ حكمه فى حل قتاله، ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ، والإجماع فى ذلك ممنوع قطعيا، ومن شن الغارة فقد غلط، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه، كمثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلما نبهته المرأة رجع فى مسألة المهر وفى غير ذلك، يعرف ذلك فى سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع (١)، ونبينا صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم سار فيهم نوره، فقالوا: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط.

فإن قلت: هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة، واستمر مصرًّا على ذلك حتى مات؟

قلت: ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر، ولا نقول إنه كافر، ولا لما تقدم إنه مخطئ وإن استمر على خطئه، لعدم من يناضل فى هذه المسألة فى وقته بلسانه، وسيفه وسنانه، فلم تقم عليه الحجة، ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة فى ذلك رأسا، ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن فى قلبه، ولم تزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق

(١) أى بعض الصحابة منهم، والقصة المعروفة.

النظر في ذلك، وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك، إلا من شاء الله منهم.

هذا وقد رأى معاوية وأصحابه رضي الله عنهم منابذة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، بل وقتاله ومناجزته الحرب، وهم في ذلك مخطئون بالإجماع، واستمروا في ذلك الخطأ حتى ماتوا، ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعا، بل ولا تفسيقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد، وإن كانوا مخطئين كما هو مشهور عند أهل السنة.

ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته، وشهر صلاحه، وعلم ورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه، لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها، وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيثمي، فإنا نعرف كلامه في «الدر المنظم»، ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه، كشرح الأربعين، والزواجر وغيرهما، ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين.

هذا ما نحن عليه، مخاطبين به من له عقل أو علم، وهو متصف بالإنصاف، خال عن الميل إلى التعصب والاعتساف، ينظر إلى ما يقال، لا إلى من قال. وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته، سواء كان حقًّا أو غير حق، فقلد من قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنا آباءنَا علَى أُمَّة وإِنَّا**

عـلَـى آثارِهِمْ مقْتدُونَ)([1])، عادته وجبلته أن يعرف الحق بـالـرجال لا الرجال بالحق، فلا نخاطبه وأمثاله إلا بالسيف حـتى يستقيم أوده، ويصح معوجه، وجنود التوحيد بحمد الله مـنـصـورة، وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة **(وسَيعْلَم الذِينَ ظَـلـمُـوا أيَّ مـنْـقلبٍ ينْقلبُون)**([2]). **(فإنَّ حِزْبَ اللهِ هُم الـغَـالـبُـون)**([3])، وقـال تعـالـى: **(وإنَّ جُـنْـدنـا لَـهُـم الـغَـالـبُـونَ)**([4]). **(وكـانَ حـقًّا عَليْنا نَصْر المؤْمِنِين)**([5]). **(والعاقِبةُ للمتَّقِين)**([6]).

البدعة الشرعية والبدعة اللغوية

هـذا ومما نحن عـلـيه أن البدعة ــ وهى ما حدثت بعد الـقـرون الـثـلا ثـة ــ مـذمومة مطلقاً، خلافاً لمن قال: حسنة وقـبـيـحـة، ولمن قسمها خمسة أقسام، إلا إن أمكن جمع بأن يـقـال: الحـسـنـة مـا عـلـيـه الـسـلـف الصالح شاملة للواجبة والمنـدوبة والمباحة، ويكون تسميتها بدعة مجازاً، والقبيحة ما عـدا ذلـك، شـامـلـة للمـحـرمـة والمكروهة ــ فلا بأس بهذا الجمع([7]).

(١) سورة الزخرف الآية ٢٣.
(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.
(٣) سورة المائدة الآية ٥٦.
(٤) سورة الصافات الآية ١٧٣.
(٥) سورة الروم الآية ٤٧.
(٦) سورة القصص الآية ٨٣.
(٧) التحقيق أن البدعة فى الدين من العقائد والعبادات لا تكون إلا مذمومة وهى التى ورد الحديث بأنها كلها ضلالة، ومنها ما حدث فى القرون الثلاثة حتى الأول منها، كالقول بإنكار القدر. وأما البدعة التى تعتريها الأحكام الخمسة فهى البدعة فى أمور الدنيا وسماها بعضهم اللغوية، فمنها النافع الذى لا بد منه كآلات

أنواع من البدع الحقيقية والإضافية وأقسامها

فمن البدع المذمومة التى ننهى عنها : رفع الصوت فى مواضع الأذان بغير الأذان ، سواء كانت آيات أو صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أوذكراً غير ذلك بعد أذان أوفى ليلة جمعة أورمضان أوالعيدين ، فكل ذلك بدعة مذمومة ، وقد أبطلنا ما كان مألوفاً بمكة من التذكير والترحيم ونحوه . واعترف علماء المذاهب أنه بدعة (١) .

ومنها : قراءة الحديث عن أبى هريرة بين يدى خطبة الجمعة ، فقد صرح شارح الجامع الصغير بأنه بدعة .

ومنها : الاجتماع فى وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف ، اعتقاداً أنه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير ، فإن ذلك لم يرد .

ومنها : اتخاذ المسابح ، فإنا ننهى عن التظاهر باتخاذها (٢) .

= الحرب الحديثة وهو واجب ، ومنها الضار قطعاً وهو محرم ، وما دون ذلك ، وهو مستحب أومكروه أومباح .

(١) قد قسم الإمام الشاطبى البدعة فى كتابه « الاعتصام » إلى حقيقة وهى مالم يرد له أصل ، وإضافية وهى ما له أصل ولكن جيء به على غير ما ورد ، كالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت فيما لم يرد فيه ذلك ، وناهيك بما اتخذ شعاراً دينيًّا ، وما صار بحيث يظن الناس أنه مشروع وتاركه مقصر فى دينه ، وفيها ورد حديث السنة الحسنة ، والسنة السيئة .

(٢) أى اتخاذها شعاراً عامًّا يوهم أنه مطلوب شرعاً ، وإلا كانت الحالة الفردية كما ورد من العدّ على النوى .

ومنها : الاجتماع على رواتب المشايخ برفع الصوت وقراءة الفواتح والتوسل بهم فى المهمات، كراتب السمان وراتب الحداد ونحوهما، بل قد يشتمل ما ذكر على شرك أكبر فيقاتلون على ذلك، فإن سلموا من أرشدوا إلى أنه على هذه الصورة المألوفة غير سنة، بل بدعة (١) فإن أبوا عزرهم الحاكم بما يراه رادعاً.

البدع الحسنة والسيئة

وأما أحزاب العلماء المنتخبة من الكتاب والسنة فلا مانع من قراءتها والمواظبة عليها. فإن الأذكار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار وتلاوة القرآن ونحو ذلك مطلوب شرعاً، والمعتنى بها مثاب مأجور، فكلما أكثر منه العبد كان أوفر ثواباً، لكن على الوجه المشروع من دون تقطع ولا تغير ولا تحريف. وقد قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وخِيفَةً**﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿**ولله الأسْمَاء الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا**﴾ (٣) ولله در النووى فى جمعه كتاب الأذكار، فعلى الحريص على ذلك به، ففيه الكفاية للموفق.

ومنها : ما اعتيد فى بعض البلاد من قراءة مولد النبى صلى الله عليه وسلم بقصائد وألحان تخلط بالصلاة عليه

---

(١) قوله: «فإن سلموا» جاء على لغة البراغيث، وجواب الشرط محذوف أو سقط من الأصل، والمعنى فإن سلم أصحاب تلك الأوراد والرواتب بعد إرشادهم بأنها بدعة ورجعوا عنها فذاك، وإلا فإن أبوا عزرهم الحاكم.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٥. (٣) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

والأذكار والقراءة، ويكون بعد صلاة التراويح، ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب، بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فينهى عن ذلك.

وأما صلاة التراويح فسنة لا بأس بالجماعة فيها والمواظبة عليها.

ومنها : ما اعتيد فى بعض البلاد من صلاة الخمسة الفروض بعد آخر جمعة من رمضان وهذه من البدع المنكرة إجماعاً، فيزجرون عن ذلك أشد الزجر.

ومنها : رفع الصوت بالذكر عند حمل الميت وعند رش القبر بالماء وغير ذلك مما لم يرد عمن سلف.

وقد ألف الشيخ الطرطوشى المغربى كتاباً نفيساً سماه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) واختصره ابن شامة المغربى، فعلى المعتنى بدينه بتحصيله (١).

وإنما نهى عن البدع المتخذة ديناً وقربة، وأما ما لا يتخذ ديناً ولا قربة كالقهوة وإنشاد قصائد الغزل ومدح الملوك فلا نهى عنه ما لم يخلط بغيره: إما ذكر أو اعتكاف فى مسجد ويعتقد أنه قربة، لأن حسان رد على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقال: أنشدته بين يدى من هو خير منك، فقيل عمر

(١) ومثل كتاب المدخل لابن الحاج المالكى وهو مشهور، وأما كتاب الاعتصام للشاطبى فلا نظير له فى بابه.

ويحل كل لعب مباح، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أقر الحبشة على اللعب فى يوم العيد فى مسجده صلى الله عليه وسلم، ويحل الرجز والحداء فى نحو العمارة والتدريب على الحرب بأنواعه، وما يورث الحماسة فيه كطبل الحرب (١) دون آلات الملاهى فإنها محرمة، والفرق ظاهر. ولا بأس بدف العرس. وقد قال صلى الله عليه وسلم «بعثت بالحنيفية السمحة... لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة».

هذا وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه (٢) إماماً حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهم فى كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم. ومعلوم مخالفتنا لهما فى عدة مسائل.

منها: طلاق الثلاث بلفظ واحد من مجلس، فإنا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة. ونرى الوقف صحيحاً والنذر جائزاً ويجب الوفاء به فى غير المعصية.

ومن البدع المنهى عنها قراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات الخمس والإطراء فى مدحهم والتوسل بهم على

(١) وللحرب آلات صوتية أخرى أشد تأثيراً من الطبل فى إثارة الشجاعة والإقدام لا تفارق الجيوش فى هذه الأزمان.

(٢) هو شيخ الإسلام أحمد تقى الدين ابن تيمية.

الوجه المعتاد فى كثير من البلاد، وبعد مجامع العبادات، معتقدين أن ذلك من أكمل القرب، وهو ربما جر إلى الشرك من حيث لا يشعر الإنسان، فإن الإنسان يحصل منه الشرك من دون شعور به لخفائه، ولولا ذلك لما استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم منه بقوله: «اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم إنك أنت علام الغيوب».. وينبغى المحافظة على هذه الكلمات والتحرز عن الشرك ما أمكن فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا دخل فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية ــ أو كان كما قال ــ وذلك لأنه يفعل الشرك ويعتقد أنه قربة، نعوذ بالله من الخذلان، وزوال الإيمان.

* * *

هذا ما حضر فى حال المراجعة من المذكور مدة تردده وهو يطالبنى كما حين ينقل ذلك وتحريره، فلما ألح نقلت له هذا من دون مراجعة كتاب وأنا فى غاية الاشتغال بما هو أهم من الغزو، فمن أراد تحقيق ما نحن عليه فليقدم علينا الدرعية فسيرى ما يسر خاطره، ويقره ناظره، من الدروس فى فنون العلم، خصوصاً التفسير والحديث، ويرى ما يبهره بحمد الله وعنه، من إقامة شعائر الدين، والرفق بالضعفاء، والوفود والمساكين.

طريقة الصوفية

ولا ننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصى المتعلقة بالقلب والجوارح، مهما استقام صاحبها على القانون الشرعى، والمنهج القويم المرعى، إلا أننا لا نتكلف له تأويلا فى كلامه ولا فى أفعاله، ولا نعول ونستعين ونستنصر ونتوكل فى جميع أمورنا إلا على الله تعالى، وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال ذلك : عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ عفا الله عنه والمسلمين.

الدعوة والداعية

وآراء العلماء والباحثين والمفكرين من الشرق والغرب
يتحدثون بإعجاب عن الإمام وحقيقة دعوته السلفية



آراء العلماء والباحثين والمفكرين

أصوات من مصر المسلمة تؤيد دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية.

— ١ —

الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله

يقول الشيخ حافظ وهبة فى كتابه «٥٠ عاماً فى جزيرة العرب» وهو يتحدث عن طلبة العلم فى الأزهر: إنه سمع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى مصر، يثنى فى دروسه بالأزهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويلقبه بالمصلح العظيم، ويلقى تبعة وقف دعوته الإصلاحية على الأتراك وعلى محمد على الألبانى لجهلهم ومسايرتهم لعلماء عصرهم ممن ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدى البدع والخرافات، ومجافاة حقائق الإسلام.

— ٢ —

رأى الدكتور طه حسين

يقول الدكتور طه حسين فى بحث نشره سنة ١٣٥٤ عن الحياة الأدبية فى جزيرة العرب:

«لا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والأدبية فى جزيرة العرب أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادى فلفتت إليها العالم الحديث فى الشرق

والغرب واضطرته أن يهتم بأمرها ، وأحدثت فيها آثاراً خطيرة هان شأنها بعض الشيء ولكنه عاد فاشتد فى هذه الأيام ، وأخذ يؤثر لا فى الجزيرة وحدها بل فى علاقتها بالأمم الأوربية .

هذه الحركة ، هى الحركة الوهابية التى أحدثها محمد ابن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد . نشأ محمد بن عبد الوهاب فى بيت علم وفقه وقضاء . تثقف على أبيه، ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً فسخط عليه الناس وأخرج من البصرة ، وكان يريد أن يذهب إلى الشام فحال الفقر بينه وبين ذلك فعاد إلى نجد، وأقام مع أبيه حينا يناظر ويدعو إلى آرائه ، حتى ظهر أمره ، وانتشر مذهبه ، وانقسم الناس فيه قسمين، فكان له أنصار وكان له خصوم ، وتعرضت حياته آخر الأمر للخطر، فأخذ يعرض نفسه على أميرها محمد ابن سعود فأجاره وبايعه على دعوته ، حتى انتهى به الأمر الى الدرعية وهناك عرض نفسه على أميرها محمد بن سعود فأجاره وبايعه على المعونة والنصرة ، ومن ذلك اليوم أصبح المذهب الجديد مذهباً رسمياً يعتمد على قوة سياسية تؤيده وتحميه بل تنشره فى أقطار نجد بالدعوة اللينة حينا وبالسيف والحرب فى أكثر الأحيان .

وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت فى الجزيرة العربية دولة سياسية عظم أمرها ، واشتد خطرها ، حتى أشفق منها الترك أشد الإشفاق فقاوموها ما وسعتهم المقاومة فلما لم يفلحوا استعانوا بالمصريين وكان أمرهم إذ ذاك إلى محمد على باشا فنجح المصريون فى إضعاف هذه الحركة وإزالة هذه الدولة الجديدة ورد أمرائها إلى ما كانوا عليه من قتل ذلك الوضع ، فلا بد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره فى الحياة العقلية فى هذا العصر الحديث .

قلت : إن هذا المذهب جديد وقديم معا ، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم فى حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقى المطهر من كل شوائب الوثنية ، وهو الدوة إلى الإسلام كما جاء به النبى ، خالصاً لله وحده ، ملغياً كل واسطة بين الله وبين الناس ، هو إحياء للإسلام ، وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ، ومن نتائج الاختلاط بغير العرب ، فقد أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد عادوا إليه من جاهلية فى العقيدة والسيرة ، كانوا يعظمون القبور ويتخذون بعض الموتى شفعاء عند الله ويعظمون الأشجار والأحجار ، ويرون أن لها من القوة ما ينفع ويضر ، وكانوا قد عادوا فى سيرتهم إلى حياة العرب الجاهليين ، فعاشوا

من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة وأصبح الدين اسما لا معنى له، فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يجعل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوما مسلمين حقا على نحو ما فعل النبى بأهل الحجاز منذ أكثر من أحد عشر قرناً.

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد فى نجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام فى الحجاز، فقد دعا صاحبه إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس، ثم أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر، كما عرض النبى نفسه على القبائل، ثم هاجر إلى الدرعية وبايعه أهلها على النصر، كما هاجر النبى إلى المدينة، ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتغل بأمور الدنيا فترك السياسة وأصحابها أداة لدعوته، فلما تم له هذا دعا الناس إلى مذهبه، فمن أجاب منهم نجا، ومن امتنع أغرى عليه السيف وشب عليه الحرب، وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأخلصوا له الطاعة، وضحوا بحياتهم فى سبيله على نحو ما انقاد العرب للنبى وهاجروا معه.

ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب، وحاربوه فى داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب فى القرن الثانى عشر والثالث عشر للهجرة، كما وحد ظهور الإسلام كلمتهم فى القرن الأول.

ولكن الذى يعنينا من أمر هذا المذهب أثره فى الحياة العقلية والأدبية عند العرب. وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت فى سبيله بالسيف والقلم واللسان، وهو قد لفت المسلمين جميعاً، وأهل العراق والشام بنوع خاص الى جزيرة العرب».

- ٣ -
رأى الأستاذ العقاد

تناول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه «الإسلام فى القرن العشرين» حركة الإصلاح السلفية، وقال ما نصه:

«وظاهر من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لقى فى رسالته عنتاً، فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميع، ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها، وإتيان المسالك من غير أبوابها، وقد غير على البادية زمن كانوا يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين، ويدعون السعى من وجوهه توسلا بأباطيل السحرة والدجالين حتى الاستسقاء ودفع الوباء فكان حقاً على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة. وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع والخرافات».

وقال أيضاً فى الكتاب نفسه، وهو يتكلم عن كتاب التوحيد تأليف الإمام مايلى: إن الكتاب الذى تضمن دعوة الشيخ ــ وفيه يحصى الشيخ الذنوب التى تكفر صاحبها وتعتبر شركا بالله، وأكثرها من البدع والخرافات والمغالاة بتعظيم الأحبار والأولياء، ومن الشرك ليس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاد أو دفعه.

ومن الشرك اتخاذ الرقى والتمائم للوقاية، والتبرك بالشجر والحجر، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والعبادة عند القبور، وأن الغلو فى عبادة الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، وأن الكهانة والعيافة والتطير والتنجيم من الشيطان. وأورد الشيخ الآيات والأحاديث التى تحرم الاستسقاء بالأنواء، وأنكر على الصوفية تأويلاتهم وخوارقهم، واستشهد على تحريم الصور بقوله عليه السلام فيما يرونه عن ربه: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى»، وبقوله عن عائشة: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله»، وحذر من المغالاة فى تعظيم النبى عليه السلام مستشهدا بقول أنس: إن ناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن سيدنا فقال: «أيها الناس قولوا بقولكم، لا يستهوينكم الشيطان، وأنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل».

وكان الشيخ ينكر الغلو، ويستشهد بقول الرسول عليه السلام: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»، وقوله عليه السلام: «هلك المتنطعون. هلك المتنطعون. هلك المتنطعون».

أصوات مسلمة منصفة من الشام
تؤيد الدعوة والداعية وتباركها

انتهت المشيخة العليا في بلاد الشام فى أوائل هذا القرن إلى الشيوخ الأجلاء: الشيخ جمال الدين القاسمى، والشيخ عبد الرازق البيطار، والشيخ طاهر الجزائرى، والشيخ محمد كامل القصاب، فدرسوا الحركة الوهابية، فأعجبوا بها، وقدروها، ورأوا أنها على حق وصواب، فنشروها فى المجتمع الشامى، وبذروها، فأثمرت أطيب الثمار، وأنتجت أبرك النتائج، والمتفق عليه بين الباحثين فى تاريخ الحركة القومية الجديدة، التى سبقت بها سورية والأقطار العربية إنها نفحة من نفحات الدعوة الوهابية وثمرة من ثمارها، عنها انبثقت، ومن رياضها تغذت.

وقاضت الحكومة التركية زعيم الحركة وعميدها الشيخ جمال الدين القاسمى وأحالته إلى القضاء بتهمة العمل على نشر الدعوة الوهابية، وذلك فى سنة ١٩٠٨م (١٣٢٤هـ) فبرأه القضاء.

وألف بعض علماء الشام الكتب فى تأييدها، وعملوا على نشرها وإذاعتها بشتى الوسائل التى كانت معروفة فى القرن الماضى، مما ساعد فى جملته على نمو النهضة الجديدة ونجاحها.

— ٤ —
رأى الأمير شكيب أرسلان

طلب محمد بن عبد الوهاب العلم فى دمشق، ورحل إلى بغداد والبصرة، وتشرب مبادئ الحافظ حجة الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وابن عروة الحنبلى، وغيرهم من فحول أئمة الحنابلة، وأخذ يفكر فى إعادة الإسلام لنقاوته الأولى، فلذلك، لوهابية يسمون مذهبهم عقيدة السلف، ومن هناك أنكر الاعتقاد بالأولياء وزيارة القبور واستغاثة بغير الله، وغير ذلك مما جعله من باب الشرك، واستشهد على صحة آرائه بالآيات القرآنية، والأحاديث المصطفوية، ولا أظنه أورد ثمة شيئاً غير ما أورده ابن تيمية.

— ٥ —
رأى السيد محمد رشيد رضا

قال فى التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد أن ذكر فشو البدع بسبب ضعف العلم وترك العمل بالتكاب والسنة، ونصر الملوك والحكام لأهلها، وتأييد المعممين لها:

لم يخل قرن من القرون التى كثر فيها البدع من علماء ربانيين، يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما ورد فى الأحاديث.

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى، من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد،وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه فى كتابه، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وترك البدع والمعاصى، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة.

فنهدت لمناهضته، القوى الثلاث: قوة الدولة، والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام.

وكان أقوى سلاحهم فى الرد عليه، أنه خالف جمهور المسلمين.

من هؤلاء المسلمين الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى دعوته؟

هم أعراب فى البوادى شر من أهل الجاهلية يعيشون بالسلب والنهب، ويستحلون قتل المسلم وغيره، لأجل الكسب، ويتحاكمون إلى طواغيتهم فى كل أمر، ويجحدون كثيراً من أمور الإسلام والمجمع عليها، التى لا يسع مسلماً جهلها، إلى آخر ما قال، عليه رحمة الله ذى الجلال.

— ٦ —

رأى محمد كرد على

كتب الأستاذ محمد كرد على فصلا ممتعاً عن أصل الوهابية ، واتخذ طريق النقد العادل ، وختمه بهذه الفقرة : « وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال ، وساقهم إلى الدين السمح ، وإذا بدت شدة من بعضهم فهى ناشئة من نشأة البادية ، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم ، وقد اختبرنا عامتهم وخاصتهم سنين طويلة ، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد أنملة ، أما الغزوات التى يغزونها فهى سياسة محضة ، برئ منها ، وما يتهمهم به أعداؤهم زور لا أصل له ، والله أعلم » .

وذكر أيضاً فى الفصل عينه مستشهداً بما قال أحمد سعيد البغدادى فى كتابه « نديم الأدب » : « أما حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب ، وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف » .

ـ ٧ ـ

ـ رأى خير الدين الزركلى فى كتابه الأعلام (الجزء السابع)

قال محمد بن عبد الوهاب سليمان التميمى النجدى زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة. فى جزيرة العرب ولد ونشأ فى العيينة بنجد ورحل مرتين إلى الحجاز ثم ذهب إلى المدينة المنورة ورحل إلى البصرة وعاد إلى نجد وسكن حريملاء ثم انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح وداعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من الأوهام. وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة فى العالم الإسلامى كله تأثر بها رجال الإصلاح فى الهند، ومصر والعراق، والشام، وغيرها فظهر الألوسى الكبير فى بغداد وجمال الدين الأفغانى بأفغانستان ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمى بالشام وخير الدين التونسى بتونس تدعو إلى ترك المعاصى وإقامة شعائر الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته قوة الدولة والحكام وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام وكان أقوى سلاحهم فى الرد عليه، أنه خالف جمهور المسلمين وهو كاذبون فى زعمهم هذا.

- ٨ -

رأى فيليب حتى في كتابه «تاريخ العرب»

يقول فيليب حتى:

تأثر محمد بن عبد الوهاب بفكرة هى أن الإسلام كما يمارسه معاصروه قد انحرفوا به كثيراً عملياً ونظرياً عن طريق السنة، التى سنها القرآن.

(آراء الباحثين الأمريكيين والأوربيين)

٩ ـ رأي ستودارد الأمريكي في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) يقول لوثروب ستودارد في اليقظة الإسلامية الحديثة في القرن الثامن عشر : كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمق دركة فأربد جوه وطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشي ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع هؤلاء الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل وانطفأت نسمات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال فليس يرى في العالم الإسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين ... إلى أن قال : وأما الدين فقد غاشية سوداء وألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفاً من الخرافات وقشور الصوفية الضالين ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس بالأباطيل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يُشرب الخمر والأفيون والحشيش في كل مكانٍ وانتشرت الرذائل وهتك ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام فصار الحج المقدس الذي فرضه الإسلام على من استطاع ضرباً من المستهزآت . وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطاً بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة محمد إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان ؛ (وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجمته ومدلج في ظلمته إذا بصوتٍ يدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم فكان صارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور (محمد بن عبد الوهاب) الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي ، ثم أخذ الداعي العظيم يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم التليد فتبدت تباشير صبح الإسلام ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام .

١٠ ـ رأي دائرة المعارف البريطانية :

جاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي : (الوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده ويهملون كل ما

سواها وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح .

١١ ـ رأي عالم فرنسي :

قال برنادلوس في كتابه العرب في التاريخ : (وباسم الإسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الأول نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة الإسلامية والعبادات من زيادات باعتبارها بدعاً خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح) .

١٢ ـ رأي المستشرق جب الإنجليزي :

قال في كتابه المحمدية : (وفي جزيرة العرب قام حوالي ١٧٤٤ م ـ ١١٥٨ هـ محمد بن عبد الوهاب مع أمراء الدرعية آل سعود بتحقيق الدعوة إلى المدرسة الحنبلية (أي المذهب الحنبلي) التي دعا إليها ابن تيمية في القرن الرابع عشر الميلادي) . وقال أيضاً في كتابه (الاتجاهات المدنية في الإسلام) : (أما في مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به ضد التدخلات العدوانية وضد الأصوات القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد وكانت عاملاً مفيداً للخلاص الأبدي وحركة تجديد أخذت تنجح في العالم الاسلامي شيئا فشيئا .

الشعر يبارك الدعوة السلفية

قصيدة الأمير الصنعانى محمد بن إسماعيل (١) فى الشيخ :

سلامِى علَى نَجْد ومَنْ حلَّ فى نَجد ... وإن كان تَسْليمى على البُعْد لا يُجْدى

وقد صَدَرت من سَفْح صَنْعا سَقَى الحيا ... رُباها وحيَّاها بقَهْقهة الرَّعد

سَرَت من أسِير ينْشُد الرِّيح إن سَرت ... ألاَ ياصبا نَجْد مَتى هِجْت من نَجْد

قِفِي واسْألى عَن عالم حلَّ سَوْحها ... بهِ يَهْتدِى من ضَلَّ عِنْ مِنْهج الرُّشد

مُحمَّد الهَادِى لسُنَّة أحْمَد ... فَيا حَبَّذا الهَادى ويَا حَبَّذا المهْدى

لَقد أنْكَرت كلّ الطَّوائِف قوْله ... بلا صَدْر فى الحَقّ منهم ولا ورْد

وما كُلّ قَولٍ بالقبُول مُقَابل ... وما كُلّ قَول واجب الرَّد والطَّرد

سِوى ما أتى عَنْ ربِّنا ورَسُوله ... فَذلك قَول جلَّ ، ياذا ، عن الرَّد

وأمَّا أقاويل الرِّجال فإنَّها ... تدورُ علَى قدْرِ الأدلةِ فى النَّقْد

وقَد جاءَت الأخبارُ عنْهُ بأنَّه ... يُعيدُ لَنا الشَّرع الشَّريفَ بمَا يُبْدى

وينْشُر جَهراً ماطَوى كلُّ جاهلٍ ... ومبْتدع مِنْه ، فوافَقَ ما عِنْدى

ويعْمُر أركان الشَّريعةِ هادِماً ... مَشَاهد ضَلَّ النَّاس فِيها عن الرُّشد

أعادُوا بِها مَعْنى سِواع ومِثْله ... يَغُوث ووَدّ ، بئْسَ ذٰلك مِن ود

وقد هَتَفُوا عنْدَ الشَّدائِدِ باسْمِها ... كمَا يهتِف المضْطر بالصَّمَد الفَرْد

وكَم عَقَروا فى سَوْحها مِنْ عَقِيرة ... أُهلَّتْ لِغير اللهِ جَهراً علَى عَمْد

وكَمْ طائف حَول القُبُور مُقبِّل ... ومسْتَلمُ الأركانِ منهنَّ باليَد

لَقد سرَّنى ما جاءَنِى مِنْ طَريقةٍ ... وكنْتُ أرَى هٰذِى الطَّريقة لِى وَحْدى

يَصبّ عليْه صَوتُ ذَمّ وغَيْبة ... ويهْواه مَنْ قَد كانَ يَهْواه عَنْ بُعْد

ويُعْزى إليْهِ كلّ ما لا يقُولُه ... بتنْقيصِه عِنْد التُّهامىّ والنَّجدى

فيرْميهِ أهلُ الرَّفضِ بالنَّصْب فِريةً ... ويرْمِيهِ أهل النَّصْب بالرَّفضِ والجَحْد

ولَيسَ لَه ذَنْب سِوى أنَّه أتَى ... بتَحْكيم قَول اللهِ فى الحِلِّ والعَقْد

ويتْبَع أقْوالَ النَّبىّ مُحمَّد ... وهلْ غَيْر بالله فى الشَّرع مَنْ يَهْدى

---

(١) هو مؤلف كتاب « سبل السلام » وله ديوان شعر كبير.

لئنْ عدَّه الجُهَّال ذَنْباً فَحبَّذا بِهِ حَبَّذا يَوْم انفِرادى فِى لَحْدى
سَلامِى علَى أهْل الحَدِيث فإنَّنى نَشَأت علَى حُبّ الأحاديث مِنْ مَهْدى
هُمُ بذلُوا فِى حِفْظ سُنَّة أحْمَد وتنْقيحها مِنْ جَهْدهم غايَة الجَهْد
أأنْتمُ أهْدَى من صَحابَة أحْمَد وأهْلُ الكِسا ، هَيْهات ما الشَّوْك كالورد
أُولئك أهدى فِى الطَّريقَة منكِمو فَهُم قُدْوتى حتَّى أُوسد فى لَحْدى

— ١٠ —

رثاء الشيخ محمد بن على الشوكانى اليمنى
للشيخ محمد بن عبد الوهاب

مصابٌ دها قلْبى فأذكَى غَلائلى وأصْمَى بسَهْم الافْتجَاع مَقاتلى
وخَطب به أغْشار أحَشاىَ صُدِّعت فأمْسَت بفَرط الوَجْد أىّ تَواكل
ورزء تَقاضانى صَفاء مَعيشَتى وأنْهلَنى قَسراً أمر المناهِل
فَعدَت بهِ رَهْن التياعٍ ولاعجٍ حَليف أسًى للقَلْب غَيْر مُزايِل
أسِير جَوى أفْنَى فُؤادى رَسيسُه وقَلبٌ مِنَ الحزْنِ المبرِّح ذاهِل
مُصاب بهِ قامَتْ على قِيامَتى ومِنْ كَرْب لاقَيْت أعْظَم هائِل
مُصاب بهِ ذابَتْ حُشاشَة مُهْجتى وعنَ حَملهِ قدْ كَلَّ مَتْنى وكَاهلى
مُصاب به قَد أظْلَم الكَوْن كلُّه وكانَ علّى حال منَ الحزْنِ هائلِ
مُصاب بهِ الدُّنيا قدِ اغبرَّ وَجْهُها وقدْ شَمختْ أَعْلامُ قَوْم أسافِل
رمِيت بهِ عَنْ قَوْس أبْرحَ لَوْعة بِها نَجْم روحى كانَ أسْرَع آفِل
بهِ هدّ رُكْن الدِّين وانْبتّ حبْلهُ وشَدّ بِناء الغِىّ مَع كلّ بَاطِل
وقامَ علَى الإسْلامِ جهراً وأهْله نَعيقُ غُراب بالمذَلّة هائِل
وسِيم مَنار الإتباع لأحْمَد هَوان انْهِدامٍ جاءَ منْ كُلّ جاهل
وهبَّتْ لنَار الإتْباع سمائم بسُمّ لنفْس الدِّين مُردٌ وقَائِل
فيا مُهْجَتى ذُوبى آسىً وتأسفاً ويا كَبدى مُوتى بحُزْن مُواصل
ويالَوعتى دُومى وزِيدى ولازمى ويافَجعتى للقلْب ماعِشْت نَازلى
ويامُقلتى نحِّى الكَرَى عَنْك جانباً وجُودى بدَمعٍ دَائِم السَّكْب هاطِل

ويا جَزَعى لا غِبْت كُنْ مُتجدِّداً ويا سَلْوتى ولى وللقَلْب زائِلى
فَقدْ ماتَ طَودُ العِلْم قطب رَحَى العُلا ومَرْكز أدْوار الفُحُول الأفاضِل
وماتَتْ علُوم الدِّين طرًّا بموْتِه وغُيب وجه الحقِّ تحْت الجنَادِل
إمام الهدَى ماحِي الرَّدَى قامع العِدا ومُرْوى الصَّدَى مِنْ فَيضِ علْمٍ ونائل
جَمَال الوَرَى رَحْب الذُّرا شامِخ الذرا وجم القِرَى صَدْر الصُّدور الأوائِل
عَظِيم الوَفا كَنْز الشِّفا مَعْدِن الصَّفا وجَالى الخفَا عَنْ مُشْكلات المَسَائِل
بهِىّ السَّنا عذْبُ الجنَا طيِّب الثَّنا مُنيل المنَى مِنْ سَيْبه كُلّ آمِل
إمامُ الوَرَى عَلاَّمة العَصْر قُدْوتى وشَيْخ الشُّيوخ الجدّ فَرد الفَضائِل
مُحمد ذُو المجدِ الذى عزَّ دَرْكه وجلّ مَقاماً عنْ لُحوق المطاوِل
إلَى عابدِ الوهَّاب يُعْزى وإنَّه سُلالة أَنْجاب زكىّ الخصَائِل
عليهِ منَ الرَّحمٰن أعْظَم رَحمةً تَبلّ ثَراه بالضُّحَى والأصائِل
لَقد أشْرفَت نَجْد بنُور ضِيائِه وقامَ مَقامات الهدَى بالدَّلائل
إمام لهُ شأن كَبير ورُتبة مِنَ الفَضل تُثنى هِمَّة المتَطاول
تأخَّر مِيلاداً وفى حَلْبة العُلَى ومَيدان فَخر سابق للأوائِل
علَى خُلق يحْكى النَّسِيم لَطافةً وكامِل أوْصافِ وحُسْن شَمائِل
وقلب سَليم للمهَيْمن خاشِع مُنيب وعنْ مَولاهُ لَيسَ بغافِل
وجنْبٌ تُجافيه المضَاجعُ فى الدُّجا وجفْن بهتَّان المدَامِع هامِل
وعَنْ ذِكر رَب العَرْش فى السِّر دائماً وفى الجهْرِ طُول الدَّهر لَيسَ بذَاهل

* * *

عَفوٌ عَنِ الجانِى صَفُوح وحِلْمه إلَى الشِّيم يُعْزى لَيس يهْفُو لعاجِل
يُقابل مَنْ لاَقى بِبِشْر ومَبْسم ضَحُوك وَوجْه للبَشَاشة باذِل
ويأمر بالمعْرُوف فى كُلّ حالةٍ وعنْ مُنكرٍ ينهَى وليسَ بقَابل
ولمَ يألُ جَهداً فى نصيحةِ مُسْلم برأيٍ وتدبيرٍ وحُسْن تَعامُل

* * *

يُجازِى بإحْسان إساءةَ غَيْره وبالجاهِ عَنْ مُستوجه غَيْر باخِل
تقمَّص بالتَّقْوى وبالخشية ارتَدَى ولَم يمْضِ منهُ العُمْر فى غَير طائلِ
ومِن شَأنه قَمع الضَّلال ونَصره لمنْ كانَ مظلوماً وليسَ بخاذِل

وكمْ كانَ فيِ الدِّين الحنيف مُجاهداً   بمـاضـي سِنـان دَامغ لـلأبـاطِل
وكمْ ذبَّ عَن سامِي حِماه وذَاد مِن   مُـضـلٍّ وبـدْعـي ومُـغـوٍ وَنـائِل

* * *

فِفيم اسْتباحَ أهلُ الضَّلال لعرضِه   ومـا نُـكِّـسـت أعْـلامهُ بـالأراذِل
وليسَ لهُ شيء عَنِ الله شاغِل   ولا عَنْ وِصالِ الاعْـتِبار بفَاصِل
فَلولاهُ لَم تُحرز رَحى الدِّين مَرْكزاً   ولا اشْتدَّ للإسْلام رُكم المعاقِل
ولا كانَ للتَّوحيد واضِح لاحِب   يُقيمُ اعْوجَاج السَّيْر مِنْ كلّ عادِل
فَما هُـو إلاَّ قـائـم فـي زَمَـانـه   مَـقـام نَـبـى فـى إماتَـةِ بـاطِل
سَتبْكِيه أجْفانى حَياتِي وإن أمتْ   سَيبْكِيه عنِّى جِفْن طلّ ووَابِل
وتبْكِيه أقْلامِي أسىً ومحَابرى   ويبْكِيه طُرْسى دائماً وأنامِلى
عجِبْتُ لقَبْر ضَمَّه كَيْف لَمْ يَكُن   يميـدُ ببَحْر فائِض العِلْم سائِل
ولله نعش كـانَ حـامِلَ جِسْمه   هَنِيئاً لهُ كـانَ أشْرَف حـامِل
ولا غَرْو أنْ يَبْكى الزَّمانُ لفَقْده   فقْد كانَ غَيْث الجُود كَهْف الأرامل
فآهاً علَى ذَاك المحيَّا وحُسْنه   وآهاً علَى تِلْك العُلُوم الجلائِل
وآهـاً عـلَـى تَحقيقه ودُروسِه   وتَوْضِيحه للمُـعْـضلات المشَاكِل

* * *

فـمَنْ للبُخَـارِى بَعْده ولمسْلِم   يُبيِّن المخبا مِنْهُما للمُجادِل ؟
ومِنْ ذَا لتفْسيرِ الكتِابِ وَمنْ ترَى   لأحكام فقهِ الدِّين، مِنْ للمسَائِل ؟
ومَنْ لمسَانِيـد سَمَت ومَعـاجِمٍ   وكَشْف لِثام الحُكْم عنْد النَّوازِل ؟
ألم تَرَ أنَّ الدَّهر نِصْف كآبةٍ   عليهِ وذُو جِسْم مِنَ الحزْنِ ناحِل ؟
زمَنْ للمعانِي والبَيان ومَنْطِق   ورَدْع أخى الجهْل الغوىّ الجاهِل ؟
ومَـن لـك بـالأصْلين واللّغة التِي   بهـا أنـزلَ الـقُرآن أشْرف نـازل ؟
ومَنْ بَعدَة للصَّدع بالحقِّ قائم   بجِـدّ ولايـخْشَى مَلامَة عـاذِل ؟

* * *

أفِقْ يـا مُعيبَ الشَّيْخ ماذَا تَعيبُه   لَقَد عِبْت حقاً وارْتحلْت بباطل
نَعَم ذنْبهُ التَّقليدُ قَدْ جذَّ حَبْلَه   وفـلّ التَّعصُّب بالسُّيوف الصَّياقل
ولـمَّا دَعا للهِ فى الخَلق صارِخاً   صرَخْتم لهُ القَذْف مِثْل الزوَاجِل

أفيقوا أفيقوا إنّه ليس داعياً ... إلى دين آباءٍ لَهُ وقبائل
دَعا لكِتاب اللهِ والسُّنة الِتى ... أتانا بها طَه النّبى خَيْر قائِل
فَوا أسفا والهفَ قلْبى وحَسْرتى ... عَليهِ وياحزْنى لأكْرَم راحِل
ويانَدمِى لوْ كانَ يُجْدى مِنَ القضا ... ولٰكن قَضاءُ اللهِ أغلبُ حائِل
ولوْ كانَ مِنْ رَيب المنيَّة مُخلِص ... لكُنْت لهُ بالجهْدِ أىّ مُحاول
وما ماتَ كلاًّ بلْ إلَى جنّة العُلى ... أتاهُ مِنَ الرَّحْمن أكْرَم ناقِل
ولما لهُ الفِرْدوسُ زادَ اشْتِياقها ... وكانَ لهَا كُفواً وأسْرَع واصِل
وكانَ علىَ حُسْنِ الأرائِك فى ذُرا ... أظلّتها أهْنا وأرْقَه قائِل
شَدَت وَرَق أغْصَان الهناء تَرجعا ... تقولُ لهُ قدْ فُزتَ يا خَير عامِل
وخاطَبهُ التّاريخُ فالا بقَوْله ... هَنيئاً فى رَفيع المنازِل

* * *

فَيا سائر الأوْلادِ للشّيخ إنّنى ... أعزِّيكمُو مع انْتساب ابنْ وائِل
وأوصِيكم بالصّبر طرا وبالرِّضا ... بجَارِى القَضا فى عاجلٍ ثم آجل
بتَسْليم أمرِ اللهِ ثمَّ احْتِساب مَا ... لدَيهِ تَعَالَى مِنْ أجُور جَزائل
فَما جَزع يَوماً بنافِع جَازع ... وما الحُزْن رَدًّا للقَضاء بعاجِل
ومِثلُكم لا يعْتَريه تَزلْزل ... ولا وَهَن فى فادِحاتِ النَّوازل
فإن كانَ للجَنَّات والدُكم مَضَى ... فَقَد كانَ فِينا مُعْقبا كلّ كامِل
وأنتُم بحَمْدِ اللهِ عنهُ خَلائف ... بعِلْم وفَضلٍ شامِخِ القَدْر شامِل
وإنّا لنرْجُو أنْ تَكُونوا أئمة ... بكُم يُقتَدى فى دِينهِ كلّ فاضِل
وللخَيْر والإحْسَان مِنْ كلّ وِجْهةٍ ... تَحثُّ إليْكُم مُضْموات الرّواحِل
ونَسأل ربَّ العَرْش يُعظِم أُجورَكم ... ويحْمِيكُم مِنْ طارقات الغَوائِل
ويُجبرُ صَدْع القَلْب والكَسْر منْكُم ... ويعقبكُم طراً جَمال المحافِلِ
ولا زِلْتمُو غَيْظ القُلوب لِكل مَن ... يُعادِيكم مِنْ كلّ حافٍ وناعِل
ولا فُجعَت فى الدَّهر سَاحةُ سَوْحكم ... برُزءٍ لموْصُول المسرَّة فاصِل
عليْكم سلامُ اللهِ ما هبَّ ناسم ... وجمَّل زاكِى ذِكْرِكم كلّ عاطِل
أوْفى الثّنا منّى عليكُم مكررًا ... وأزكَى تحياتٍ سَوام كوَامِل
وأضْعافَها للمقرنيّين كلّهم ... هُداة الوَرَى مِنْ مَحتْدى فَرْع وائِل

هُم الناسُ أهل الباسِ يَعرْف فَضْلهم جَميعُ بَني الدُّنيا فما للمُجادِل
لقد جاهَدُوا فى اللهِ حقّ جِهادِه إلى أنج أقامُوا بالضَّبا كلّ مائِل
فَناديهُمو فى كلّ نادِ مُبجَّل فَحقَّهم التَّبجيلُ بينَ القَبائِل
سُعود مضَى والسَّعدُ حالَف نَجْله كماَ حالفَ الآباء لَيسَ براحِل
لَقد نَصرُوا دِين الإلٰه وحِزْبه كما دَفعُوا دِاعى الهوَى بالقَنَابل
عليْهم سَلامُ اللهِ مَاذرَّ شارِق وما اهتزَّت الأزْهارُ فى صُبْح هاطِل
وأزكَى صَلاةِ اللهِ ثمَّ سَلامِه علىَ المصْطفى الهادِى كَريم الشَّمائل
مُحمد المختارُ مِنْ فَرْع هاشمٍ وآلِ وأصْحابِ كرام أفاضِل

— ١١ —
قصيدة ابن رضوان

وقال الشيخ عمران بن علي بن رضوان من سكان لنجه — من البلدان الفارسية رداً على بعض الملحدين ومثنياً على الشيخ بقصيدة أجاد فيها وأفاد، أولها :

جاءتَ قَصيدتُهم تَروحُ وتغْتَدى … في سَبِّ دين الهاشِمى مُحمَّد
قَدْ زَخرفُوها للطُّغامِ بقَوْلهم … إنَّ الكتَاب هُو الهُدَى فَيهِ اقْتَد
لوْ أنَّ ناظِمَها تمسَّك بالَّذِى … قَد قال فِيها أولا إذ يبْتَدى
لكنَّه قَدْ زاغ عَمَّا قالَه … مُتأوِّلا فِيهِ بتَأويل رَدِى
فأتَتْ كَشَهد فِيهِ سمٌّ ناقِعٌ … مَنْ ذاقَ مِنه فَفِي العَذابِ المعُبَّد
الشَّيخ شَاهَد بَعْض أهْل جهالَةٍ … يدْعُون أصْحَاب القُبُور الهمَّد
تاجاً وشمساناً ومن ضَاهَاهما … مِنْ قُبَّة أوْ تُربَة أو مَشْهد
يرْجُون منْهُم قُربةً وشَفاعةً … ويؤمِلُونَ كذلكَ أخْذاً باليَدِ
ورأى لعُبَّاد القُبُور تَقرُّبا … بالنَّذْر والذَّبْح الشَّنِيع المفْسِد
ما أنْكَر القُرَّاء والأشياخ ما … شَهدُوا مِنَ الفِعْل الذِى لَمْ يحْمد
بلْ جَوَّزوهُ وشارَكُوا فى أكْلهِ … مَنْ كانَ يذْبَح للقُبُور ويفْتَدِى
فأتاهُم الشَّيخُ المشَار إليهِ بالنُّصْح … المبِينِ وبالكَلامِ الجَيِّد
يدْعُوهم للهِ أن لا يعْبُدوا … إلا المهَيْمن ذا الجَلال السَّرمد
لا تُشْركوا مَلِكاً ولامِنْ مُرْسَل … كلاَّ ولامن صالِح أو سَيد
فَتنافَروا عنْهُ وقالُوا لَيس ذا … إلا عجيب عِنْدنا لم يعْهَد
ما قالَهُ آباؤنا أيضاً ولا … أجْدادُنا أهْل الحجَى والسُّؤدد
إنا وجَدْنا جُمْلة الآبا علَى … هذا فنَحنْ بمَا وجَدْنا نَقْتدى
فالشَّيخُ لمَّا أنْ رَأى ذا الشَّأن من … أهْلِ الزَّمان اشتدَّ غَيْر مُقلِّد
ناداهُم ياقَوْم كَيف جَعلْتمُ … للهِ أنداداً بغَيْر تَعدُّد
لو أنْصفُوا لرأوا لَه فَضْلا علَى … إظْهار ما قَدْ ضيَّعوهُ مِنَ اليَد
ودُعوا لهُ بالخَيْر بعْدَ ممَاتِه … ليُكافِئوا علَى رِفاق المرْشِد

لكنَّهمْ قدْ عانَدُوا، وتَكبَّرُوا   ومشَوْا علَى مِنْهاج قَوْم حُسَّد

ورَموْه بالبُهتّان والإفْك الذِي   هُم يعْملونَ بهِ ومنْهُم يبْتَدى

فَمقالُهم هُو للمُتابِع قاطِع   بدُخُول جنَّات وحُور خُرَّد

حاشَا وكلاً لَيسَ هٰذا شأنهُ   بلْ إنَّه يرْجُو بِها لموحِّد

قالُوا لَه يا كافِراً يا فاجراً   ما ضَرَّه قَوْل العُداةِ الحُسَّد

قالَت قُريش قَبْلهُم للمصْطفى   ذا ساحِر، ذا كاهِن، ذا مُعْتَدى

قالُوا لهُ غشَّاشُ أمَّة أحْمَد   وهُو النَّصيحُ بكلِّ وجْهٍ يَبْتَدى

هل قالَ إلا وَحِّدُوا رَبَّ السَّما   وذَرُوا عِبَادة ما سِوَى المتَوحِّد

وتمسَّكُوا بالسُّنَّة البَيْضَا، ولا   تتنطَّعُوا بزيادة تَردُّدِ

هذا الذِي جَعلُوه غشًّا وهُو قد   بعثَتْ بهِ الرُّسُل الكِرام لمنْ هُدِى

مِنْ عَهْد آدَم ثمَّ نُوح هٰكَذا   تَتْرى إلى عَهْد النَّبِى مُحمَّد

وكذلكَ الخُلَفاء بعْدَ نَبيِّهم   والتَّابعُونَ وكلّ خَيْر مُهْتَدى

مِنهاجُهم هٰذا علَيْه تمسَّكُوا   من كانَ مُستناً بِهِم فلْيقْتَد

مراجع ومصادر الكتاب

١ ـ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي في تاريخه « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام » .

٢ ـ الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في تاريخه « عنوان المجد في تاريخ نجد » .

٣ ـ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » .

٤ ـ الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في كتابه « تاريخ الحركة القومية عصر محمد علي » .

٥ ـ الأستاذ عبد الحليم الجندي في كتابه « الإمام محمد بن عبد الوهاب وانتصار المنهج السلفي » .

٦ ـ الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

٧ ـ الشيخ عبد الله بن علي القصيمي النجدي في كتابه « الثورة الوهابية » .

٨ ـ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه « الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ » جزءان .

٩ ـ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه « قادة الفكر الإسلامي عبر القرون » .

١٠ ـ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه « أيام في تونس » .

١١ ـ الأستاذ السردار إسماعيل سرهنك في كتابه « حقائق الأخبار » .

١٢ ـ الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

١٣ ـ أمير البيان شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » .

١٤ ـ الأستاذ هاملتون جب وهارولد بوون في كتابه « المجتمع الإسلامي والغرب » جزءان .

١٥ ـ الأستاذ محمد خليل المدادى في كتابه « سلك الورد في أعيان القرن الثاني عشر » أربعة أجزاء .

١٦ ـ الأستاذ محمد بن أبي سرور البكري في كتابه « الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة » .

١٧ ـ الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « الأعلام » الجزء السابع .

١٨ ـ مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبعة جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

١٩ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية .

٢٠ ـ الأستاذ أحمد بن أبي الضياف في كتابه « إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الإمام » .

٢١ ـ الأستاذ محمد الندوي الهندي في كتابه « الإمام المظلوم المفترى عليه » .

٢٢ ـ الاستاذ محمد الجزولي في كتابه « دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار » .

٢٣ ـ الشيخ أحمد بن حجر آل ابن علي آل بوطامي في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

٢٤ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

٢٥ ـ الأستاذ حافظ وهبة في كتابه « خمسون عاماً في جزيرة العرب » .

٢٦ ـ الدكتور طه حسين في بحث كتبه عام ١٣٥٤ هـ عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب .

٢٧ ـ الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « الإسلام في القرن العشرين » .

٢٨ ـ الأستاذ أحمد حسين في كتابه « مشاهداتي في جزيرة العرب » .

٢٩ ـ الأستاذ محمد عبد الله ماضي في كتابه « النهضة العربية السعودية » .

٣٠ ـ الأستاذ محمد ضياء الدين الريس في بحث كتبه بعنوان « الحركة الوهابية » .

٣١ ـ الأستاذ محمد قاسم في كتابه « تاريخ أوربا » .

٣٢ ـ الدكتور أحمد أمين في كتابه « زعماء الإصلاح » .

٣٣ ـ الأستاذ مصطفى الحفناوي عن وليز في كتابه « ابن سعود » .

٣٤ ـ الأستاذ عبد العزيز بكر في كتابه « الأدب العربي وتاريخه » .

٣٥ ـ الشيخ حامد الفقي مؤسس أنصار السنة المحمدية بمصر في كتابه « أثر الدعوة الوهابية » .

٣٦ ـ الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه « صيانة الإنسان » بعد أن ذكر فشو البدع بسبب ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة .

٣٧ ـ الأستاذ محمد كرد علي في بحث كتبه عن « أصل الوهابية » .

٣٨ ـ فيليب حتى في كتابه « تاريخ العرب » .

٣٩ ـ الأستاذ أمين سعيد في كتابه « سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب » .

٤٠ ـ الدكتور عبد الله العثيمين في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

٤١ ـ الشيخ علي الطنطاوي في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » .

٤٢ ـ الأستاذ محمد جميل بيهم في كتابه « الحلقة المفقودة في تاريخ العرب تحت عنوان « آل سعود في حكم آل عثمان » .

٤٣ ـ الأستاذ عمر أبو النصر في كتابه « ابن سعود » .

٤٤ ـ علاّمة العراق محمود شكري الألوسي في كتابه « تاريخ نجد » .

٤٥ ـ الشيخ محمد بشير السهوائي الهندي مؤلف كتاب « صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان » .

٤٦ ـ الأستاذ فتح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي « كونت ويلز » .

٤٧ ـ الأستاذ أحمد بن سعيد البغدادي في كتابه « نديم الأديب » .

٤٨ ـ الأستاذ لوثروب ستودرد الأمريكي في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » .

٤٩ ـ المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » الجزء الرابع .

٥٠ ـ الأستاذ المؤرخ الألماني الدكتور الوبرت فون ميكوس في كتابه « عبد العزيز » وقد صدر في ألمانيا عام ١٩٥٣ م ونقله إلى العربية الدكتور أمين رويحه عن الحركة الوهابية .

٥١ ـ الأستاذ ويلفرد كانتول في كتاب « الإسلام في نظر الغرب » ألفه جماعة من المستشرقين .

٥٢ ـ الأستاذ المؤرخ الفرنسي برنارد ليوس في كتابه « العرب في التاريخ » .

٥٣ ـ الأستاذ المستشرق النساوي جولد زيهر في كتابه « العقيدة والشريعة » .

٥٤ ـ الأستاذ المستشرق الإنجليزي جب في كتابه « المحمدية » وفي كتابه « الاتجاهات المدنية في الإسلام » .

٥٥ ـ المستشرق الفرنسي سديو في كتابه « تاريخ العرب العام » .

٥٦ ـ دائرة المعارف البريطانية .

المؤلف عبد الله بن سعد الرويشد ـ الرياض